

الْبَكَايِرُ



تأليف

الدكتور خالد بن محمد بن عبد الوهاب

فهرست

٣	كلمة الناشر
٥	تعريف بالمؤلف و بكتاب « الكبائر »
٧	تعريف (الكبائر)
٩	الكبيرة الأولى : الشرك بالله
١٢	الكبيرة الثانية : قتل النفس
١٤	الكبيرة الثالثة : في السحر
١٧	الكبيرة الرابعة : في ترك الصلاة
٣٢	الكبيرة الخامسة : منع الزكاة
٣٧	الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عذر
٣٨	الكبيرة السابعة : ترك الحج مع القدرة عليه
٣٩	الكبيرة الثامنة : عقوف الوالدين
٤٧	الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب
٥٠	الكبيرة العاشرة : الزنا
٥٥	الكبيرة الحادية عشرة : اللواط
٦١	الكبيرة الثانية عشرة : أكل الربا
٦٥	الكبيرة الثالثة عشرة : أكل مال اليتيم وظلمه
٧٠	الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب على الله ورسوله
٧١	الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف
٧٢	الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه لهم
٧٦	الكبيرة السابعة عشرة : الكبر والفخر والخيلاء والمجب والتيه
٧٩	الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور
٨٠	الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر

٨٨	الكبيرة العشرون : القهار
٩٢	الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات
٩٤	الكبيرة الثانية والعشرون : الفلول من الغنيمة
٩٧	الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة
٩٨	الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق
١٠١	الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغفوس
١٠٤	الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم
١١٥	الكبيرة السابعة والعشرون : المكاس
١١٨	الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان
١٢٣	الكبيرة التاسعة والعشرون : أن يقتل الإنسان نفسه
١٢٥	الكبيرة الثلاثون : الكذب في غالب أقواله
١٢٩	الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضي السوء
١٣١	الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم
١٣٤	الكبيرة الثالثة والثلاثون : تشبه المرأة بالرجال وتشبه الرجال بالنساء
١٣٧	الكبيرة الرابعة والثلاثون : الديوث المستحسن على أهله
١٣٨	الكبيرة الخامسة والثلاثون : في المحلل والحلل له
١٤١	الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم التنزه عن البول
١٤٣	الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء
١٤٦	الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتان العلم
١٤٩	الكبيرة التاسعة والثلاثون : الحياة
١٥١	الكبيرة الأربعون : المنان
١٥٣	الكبيرة الحادية والأربعون : التكذيب بالقدر
١٥٩	الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس ما يسرون
١٦٠	الكبيرة الثالثة والأربعون : النام
١٦٤	الكبيرة الرابعة والأربعون : اللسان
١٦٨	الكبيرة الخامسة والأربعون : القدر وعدم الوفاء بالعهد

- ١٦٩ الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم
- ١٧٢ الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها
- ١٨١ الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير في الثياب والحيطان والحجر وغيرها
- ١٨٣ الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وغيرها
- ١٩٨ الكبيرة الخمسون : البغي
- الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية
والزوجة والدابة
- ٢٠٠
- ٢٠٧ الكبيرة الثانية والخمسون : أذى الجار
- ٢٠٩ الكبيرة الثالثة والخمسون : أذى المسلمين وشتمهم
- ٢١٣ الكبيرة الرابعة والخمسون : أذية عباد الله
- ٢١٥ الكبيرة الخامسة والخمسون : إسبال الأزار أو الثوب واللباس والسراويل
- ٢١٧ الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال
- ٢١٨ الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد
- ٢١٩ الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل
- ٢٢٠ الكبيرة التاسعة والخمسون : فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم
- ٢٢١ الكبيرة الستون : الجدال والمرء والدد
- ٢٢٤ الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء
- ٢٢٥ الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والذراع والميزان
- ٢٢٧ الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله
- ٢٢٩ الكبيرة الرابعة والستون : أذية أولياء الله: (الموجود هو آخرها فقط)
- ٢٣٠ الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة قبضي وحدة من غير عذر
- ٢٣١ الكبيرة السادسة والستون : الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر
- ٢٣٤ الكبيرة السابعة والستون : الاضرار بالوصية
- ٢٣٥ الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة
- ٢٣٦ الكبيرة التاسعة والستون : من جس على المسلمين ودل على عوراتهم
- ٢٣٦ الكبيرة السبعون : سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

تعريف

بالمؤلف وبكتابه 'الكبائر'



هو : شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز التركماني ، الفارقي ، الدمشقي ، الشافعي ، الشهير بالذهبي :

أصل أسرته من « ميافارقين » . ولد في دمشق سنة ٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م ، وتلقى العلم عن شيوخ الشام ومصر والحجاز ، وزار أكثر المدن لهذه الغاية ، ونبغ في كثير من العلوم ، وبخاصة في قراءات القرآن ، والحديث ، وصرح بحفظه المثل ، ونعت « بامام الوجود حفظاً ، وبشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل » ، وذاع صيته في الآفاق ، وقصده طلاب العلم من كل صوب .

ذكر « الذهبي » في معجمه ثلاثمائة شيخ وألف شيخ ممن تلقى العلم عنهم وعلمهم واقراهم ، منهم مجموعة من كبار العلماء والمؤلفين المشهورين .

تولى « الذهبي » عدة وظائف علمية في دمشق ، ولما كف بصره في سنة ٧٤١ هـ انقطع عن التأليف ، وأكتفى بالتدريس إلى ان وافاه الأجل في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٨ م . ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق .

ترك « الذهبي » ثروة علمية ضخمة أودعها في مؤلفاته المفيدة التي نيفت على تسعين مؤلفاً في الحديث والتاريخ والتراجم وغيرها ، اعظمها تاريخه الكبير (تاريخ الاسلام) ، وكتاب (سير النبلاء) ، و (ميزان الاعتدال) و (المشتبه

في اسماء الرجال) و (تجريد الاصول في احاديث الرسول) وغيرها ، وكثير منها مطبوع متداول .

وقد تحدث عن مؤلفات « الذهبي » كثير من المؤلفين القدامى والمحدثين ، وكتبت عدة دراسات عنه في رسائل ومجلات عربية وأجنبية ، وكلها أشادت بعلمه وفضله ، ونوهت بما خلف من آثار علمية انتفع بها أبناء عصره ، ومن خلفهم من أبناء العصور التالية حتى اليوم .

وكتابه « الكبائر » في مقدمة مؤلفاته التي وضعها خاصة لطبقة من القراء ، وقد عالج فيه موضوعات تروق لهم ، وتفيدهم في دينهم ودنياسهم ، وتقرب إلى أذهانهم أشياء قد يستصعبون فهمها في الكتب العلمية الموضوعة للخاصة من العلماء وطلاب العلم .

فهو في كتاب « الكبائر » قد يسلك طريق الواعظ المرشد الذي ينشد صلاح الناس وتقوم عقائدهم وسيرتهم ، وساق ما أورده بلغة سهلة مفهومة وأسلوب واضح جذاب ، وابتعد عن التعقيد والغموض والتصنع ، فجاء كتابه ناقماً للخطباء والواعظين ، ومنبهاً للغافلين والخائرين ، وزاجراً للعصاة والمتحرفين وقائداً للراغبين في سلوك طريق الله والحق والصواب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .
(أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل في الكبائر والمهرمات والمنهيات .

الكبائر :

ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ، وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمهرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى :

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) .

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة .

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) . وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّغَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصلوات الخمس ^(١) والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات ^(٢) لما بينهن إذا اجتنب الكبائر ، فتعين علينا الفحص عن الكبائر ، ما هي لكي يمتنبا المسلمون ^(٣) . فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها ، فقبل : هي سبع . واحتجوا بقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . متفق عليه ^(٤) . وقال ابن عباس رضي الله عنها : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ، وصدق والله ابن عباس ^(٥) . وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والنبي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة ، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد ، أو لمن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة ^(٦) . ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر

(١) أورده مسلم والترمذي وقال حسن صحيح عن أبي هريرة رفعه واللفظ لم . قال الترمذي : وفي الباب عن جابر وأنس وحنظلة الأسيدي . قال شارحه : ما حديث جابر فأخرجه مسلم . وأما حديث أنس فأخرجه الشيخان ، وأما حديث حنظلة الأسيدي ، ويقال له - حنظلة الكاتب - فأخرجه أحمد بسناد جيد مرفوعاً انتهى .

(٢) في نسخة « كفارة لما بينهن ما لم تنش الكبائر » .

(٣) في نسخة : المسلم .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . ورواه أبو داود والنسائي .

(٥) رواه عبد الرزاق والطبري في تفسيره عند قوله : « أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه »

سورة النساء .

(٦) والكبيرة كل محصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وزاد شيخ الإسلام : أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو لعن ونحوها . والصواب تنسح الذنوب إلى كبيرة وصغيرة وأن الكبائر في الذنوب بعضها أكبر من بعض وقال ابن عبد السلام للشافعي لم أقف لكبيرة ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذي قاله شيخ الإسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تير أو ليس منا أو نفي إيمان من أسلم الضوابط ، وعن سعيد بن جبيرة قال رجل لابن عباس : الكبائر سبع . فقال ابن عباس : هي إلى السبعائة أقرب منها إلى السبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع اصرار . وفي رواية عنه : هي إلى السبعين أقرب ، وعندما العلماء قبلت سبعين أو زادت على السبعين أ .

أكبر من بعض . ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر ، مع أن مرتكبها مخلد في النار ولا يغفر له أبدا . قال الله تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

الكبيرة الأولى : الشرك بالله :

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما - أن يجعل الله نداً ويمبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل قال الله تعالى :

« إن الله لا يغفر أن يُشركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقال تعالى : « إنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .
وقال تعالى : « إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ » .

والآيات في ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو من أصحاب النار قطعاً ، كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار . وفي « الصحيح » أن رسول الله ﷺ قال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً - قالوا : بلى يا رسول الله قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت^(١) .
وقال ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات) فذكر منها الشرك بالله ، وقال ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه) الحديث^(٢) .

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد والبخاري .

والنوع الثاني من الشرك : الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى :

« قَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

أي لا يرثي بعمله أحداً . وقال عليه السلام : (إياكم والشرك الأصغر ، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء . يقول الله تعالى يوم يحازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء « (١) . وقال عليه السلام : « يقول الله : من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء » (٢) . وقال « من سمع سمع الله به ومن رآه رآه الله به » (٣) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » يعني انه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له « (٤) ، كما روى عليه السلام عنه « (٥) انه قال : « مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به ، فإذا فتحة قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له ما أملا كيسه ولا يعطي به شيئاً . فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له

(١) قال العراقي : رواه أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس والبيهقي في « الشعب » ، وابن أبي الدنيا من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات . قال المتذري جيد ورواه الطبراني عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج .

(٢) رواه مسلم دون كلمة « وأنا منه بريء » وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (هراقي) .
(٣) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله بلفظ « من رأى راءى الله به ومن سمع سمع الله به » وهو في الترغيب كما في الاصل هنا ، والترمذي عن أبي بكره نفسه . (العراقي في تخرريج احاديث الاحياء) .

(٤) رواه ابن ماجه وأخرجه احمد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه ، والبيهقي عن شداد بن أرس واليزار وابن مردويه ، والبيهقي عن الضحاك بن قيس رقمه .
(٥) جمعه ابن حجر في زواجره من كلام بعض الحكماء لا حديثاً نبوياً .

من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة ، قال الله تعالى : « وقد مننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس . وروى^(١) عدي ابن حاتم الطائي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يؤمر بفناء - أي جماعات - من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفهم عنها فانهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون يمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأولائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى : ذلك ما أردت بكم . كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ترامون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي - يعني لأجل الناس - فاليوم أذيقكم ألم عقابي مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي^(٢) وسأل رجل رسول الله ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن لا تخادع الله » . قال : وكيف يخادع الله ؟ قال : « ان تعمل عملا أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله . واتق الربا فإنه الشرك الأصغر ، وان المرأثي ينادي عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مرأثي ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك ، فلا اجر لك عندنا ، اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له يا خادع » . وسئل بعض الحكماء رحيم الله من المخلص : فقال : المخلص الذي يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقيل لبعضهم : ما غاية الاخلاص ؟ قال : أن لا تحب عمدة الناس . وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والاخلاص ان يعاقبك الله منها . اللهم عاقنا منها وأعف عنا .

(١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي ، وابنا عساكر والنجاشي والحسن بن سفيان - وذكره في « الترغيب » بصيغة التمريض وهي : وروى عن عدي الخ ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ونازعه السيوطي .

(٢) ابن أبي الدنيا من رواية جيلة البعصي عن صحابي لم يسم ، واسناده ضعيف (عراقي) .

الكبيرة الثانية : قتل النفس

قال تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) . وقال تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَمًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) . وقال تعالى : (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِفَيْسٍ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) وقال تعالى : (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) .

وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ^(١) » . فذكر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ^(٢) . وقال رجل للنبي ﷺ : أي الذنب اعظم عند الله تعالى؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قال : ثم أي؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قال : ثم أي؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي

(١) تمام الحديث : قيل : وما هن يا رسول الله؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المفلجات المؤمنات » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي (التذري) .
(٢) رواه البخاري ومسلم بدون الآية ، ورواه الثرمذي والنسائي في رواية بها مع ذكر الآية ، كلهم عن أبي مسعود الانصاري قاله التذري في « الترغيب والترهيب » .

حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، الآية . وقال ﷺ : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه » (١) .

قال الامام أبو سليمان رحمه الله : هذا انما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل ، انما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو ، فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها ، أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل في هذه ، لأنه مأمور بالقتال للذنب عن نفسه غير ناصد به قتل صاحبه إلا ان كان حريصاً على قتل صاحبه . ومن قاتل باغياً أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله ، انما يدفعه عن نفسه ، فان انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه . فان الحديث لم يرد في أهل هذه الصفة . فأما من خالف هذا النعت فهو الذي دخل في هذا الحديث الذي ذكرنا ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » (٢) وقال رسول الله ﷺ : « لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » (٣) وقال صلى الله عليه وآله وسلم أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » (٤) ، وقال ﷺ : « الكبائر الاشرار بالله وقتل النفس واليمين

(١) رواه أحمد والشيخان « الزواجر » .

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكر وهو قطعة من (خطبة الوداع) (٣) تمامه : وقال ابن عمر : من ورطت الأمور التي لا تخرج لن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله . رواه البخاري والحاكم وقال صحيح على شرطها . والورطت جمع ورطة : وهي المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه (الترغيب) .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن مسعود .

(٤) رواه النسائي والبيهقي من حديث بريدة وشاهده عند مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً ومرفوعاً . قاله المنذري ورواه البيهقي والاصمغاني وابن ماجه بإسناد حسن عن البراء بن عازب رفعه له .

العموس»^(١) وسببت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار ، وقال عليه السلام : « لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل »
 نخرج في الصحيحين ، وقال عليه السلام : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن
 رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً » أخرجه البخاري^(٢) .

فاذا كان هذا في قتل المعاهد - وهو الذي اعطى عهداً من اليهود والنصارى
 في دار الاسلام - فكيف يقتل المسلم . وقال عليه السلام : « ألا ومن قتل نفساً معاهدة
 لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمته الله ولا يرح رائحة الجنة وإن يرحمها
 ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً » صححه الترمذي وقال عليه السلام : « من أعان على
 قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » رواه
 الامام احمد^(٣) . وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل
 ذنب عسى الله ان يفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متمتداً^(٤) .
 نسأل الله العافية .

الكبيرة الثالثة : في السحر :

لأن الساحر لا بد وأن يكفر : قال الله تعالى :

(وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) .

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الانسان السحر إلا ليشرك به .

قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت :

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (متذري) .

(٢) والنسائي عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر .

والتذري في الترغيب .

(٣) وابن عاصم وفي اسناده مقال قاله المصنف في رسالته الصغرى ، والاصبهاني كلفه عن أبي

هريرة رفعه ورواه البيهقي من حديث ابن عمرو رفعه ذكره المتذري في الترغيب بصيغة التمريض .

(٤) أخرجه النسائي والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد ، وروى أبو داود ، وابن جياث

وصححه عن ابن الدرداء رفعه (ترغيب) .

(وَمَا يُعْمَلُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَ إِيَّا نَحْنُ فِتْنَةٌ
فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا مَا يَفَرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرءِ
وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ .
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ . وَلَقَدْ عَلَّمُوا
لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) أي من نصيب .

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنون حراماً فقط ،
وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء^(١) وعملها وهي محض السحر
وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر ، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له ،
وأشبه ذلك بكلمات مبهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر : القتل ، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر . قال النبي ﷺ :
« اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها النحر . والموبقات المهلكات . فليتنق
العبد ربه ولا يدخل فيما يخسره الدنيا والآخرة . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال :
حد الساحر ضربه بالسيف^(٢) . والمصحيح أنه من قول جندب . وعن يخالفة
ابن عبدة^(٣) أنه قال : أنا ما كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا
كل ساحر وساحرة . وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول
الله عز وجل لا إله إلا أنا ليس مني من سحر ولا من سحر له ، ولا من تكهن
ولا من تكهن له ، ولا من تطير ولا من تطير له . وعن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع
رحم ، ومصديق بالسحر » . رواه الامام أحمد في مسنده^(٤) . وعن ابن مسعود

(١) في بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف .

(٢) رواه الترمذي ، وقال : الصحيح أنه من قول جندب (زواج) .

(٣) رواه البخاري .

(٤) وابن حبان في صحيحه ، وأبو يعلى ، والحاكم وصححه ، قاله المنذري في الترهيب :

من شرب الخمر .

رضي الله عنه مرفوعاً قال : « الرقى والتائم والتولة شرك » (١) . التائم : جمع تيمة ، وهي خرزات وحرروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون انها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك . والتولة بكسر التاء وفتح الواو : نوع السحر ، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال ان ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى (٢) قال الخطابي (٣) رحمه الله : وأما إذا كانت الرقية بالقرآن ، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة ، لأن النبي ﷺ كان يرقى الحسن الحسين رضي الله عنهما ، فيقول : « أعينكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » ، وبالله المستعان وعليه التكلان .

(١) رواه احمد وأبو داود قاله المصنف في رسالته الصغرى ، وابن حبان والحاكم وصحبه (رغب) .

(٢) (فائدة) قال المصنف في رسالته الصغرى في آخر الكبيرة الثالثة : (واعلم أن كثيراً من هذه الكبائر بل عامتها - إلا الأقل - يحل خلق من الامته تحريمه وما بلفظه الزجر فيه ولا البرعيد . فهذا الضرب فيه تفصيل فينبغي للعالم أن لا يستعمل على الجاهل بل يرفق به ويملكه بمسا حله الله ، ولا سيما إذا كان قريب المهدي يجهلته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لارض الاسلام وهو تركي أو كرجمي مشرك لا يعرف بالعربي ، فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم ، فبالجهل انه يلفظ بالشهادتين . فان فهم بالعربي حق فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالي فيها ونعمت . ثم قد يصلي وقد لا يصلي ، وقد يلقن الفاتحة مع الطول ان كان استأذنه فيه دينما فان كان استأذنه نسخة منه فمن اين لهذا المسكين ان يعرف شرائع الاسلام ، والكبائر واجتنابها والواجبات واتيانها ، فان عرف هذا مربيقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتدتها فهو سعيد وذلك نادر . فينبغي للعبد ان يحمد الله تعالى على العافية . فان قيل : هو فوط لكونه ما سأل عما يجب عليه قيل : ما دار في رأسه ولا استشعر ان سؤال من يعلمه يجب عليه . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له نوراً من نور ، فلا يأتي أحد الا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه ، والله لطيف رؤوف بهم . قال تعالى (وما كنا معذبين حتى ننبئ رسولا) ، وقد كان سادة الصحابة بالحيشة وتنزل الوجبات والتحريم على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم إلا بعد أشهر ، فهم في تلك الاشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص ، وكذا يملأ بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص ان شاء الله تعالى » اهـ .

(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب - ابراهيم بن الخطابي صاحب التصانيف الممتعة كتشرح سنن أبي داود وغيره توفي سنة ٥٣٨٨ ببلدة بشت .

الكبيرة الرابعة : في ترك الصلاة

قال الله تعالى :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) .

قال ابن عباس رضي الله عنها: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب أمام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر . ولا يصلي العصر إلى المغرب ، ولا يصلي المغرب إلى العشاء ، ولا يصلي العشاء إلى الفجر ، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس . فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغي ، وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه . وقال الله تعالى في آية أخرى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، أي غافلون عنها ، متهاونون بها . وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « هو تأخير الوقت^(١) ، أي تأخير الصلاة عن وقتها ، ساهم مصلين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدم بويل وهو شدة العذاب . وقيل : هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا ان يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط . وقال الله تعالى في آية أخرى :

(١) رواه البزار في مسنده من رواية عكرمة بن ابراهيم ، وقال : رواه الخافظ موقوفاً ولم يرقه غيره . قال المنذرى وعكرمة هذا هو الازدى جمع على ضمفه والصواب وقله ، يعني أنه من كلام سعد بن ابي وقاص (رغيب) وقال به زيد بن هلي في تفسير الغريب ، وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمُ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

قال المفسرون : المراد بذكر الله في هذه الآية الصلوات الخمس . فمن اشتغل
بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من
الخاسرين . وهكذا قال النبي ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من
عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر » (١) .

وقال الله تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم :

« مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصَلِينَ وَلَمْ
نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ . وَكُنَّا نَخْوِضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا
نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ . فَمَا تَنْقَعُهُمْ شَفَاعَةُ
الشَّافِعِينَ » .

وقال النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (٢)
وقال النبي ﷺ : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » (٣) ، حديثان صحيحان .

(١) عزاه المنذري في الترغيب إلى الاوسط للطبراني وأشار إلى ضعفه ، وذكر له شاهداً من
حديث عبدالله بن قرط عند الطبراني في أوسطه أيضاً ، وقال : لا بأس بإسناده إن شاء الله اه .
وقال المصنف في الصغرى حسنه الترمذي من حديث أبي هريرة ، وكذا قال المنذري في الترغيب
رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة وقال حسن غريب . وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه
عن تميم الداري رفعه .

(٢) رواه من حديث بريدة أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقسالة حسن صحيح ،
وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقسالة صحيح ولا تعرف له علة (منذري) .
وأخرج نحوه الطبراني في الكبير عن ثوبان رفعه .

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه بالفاظ متقاربة (منذري)
وأخرجه ابن ماجه ومحمد بن نصر والطبراني في الكبير عن انس رفعه .

وفي صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال : « من فاتته صلاة العصر حبط عمله » . وفي السنن ان رسول الله ﷺ قال : « من ترك الصلاة متمعداً فقد برئت منه ذمة الله^(١) » وقال ﷺ : « امرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » متفق عليه^(٢) . وقال ﷺ : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه : اما انه لا حظ لأحد في الاسلام أضاع الصلاة .

قال بعض العلماء رحمهم الله : وانما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة ، لأنه انما يشتغل عن الصلاة بما له أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فان اشتغل بالهشعر مع قارون ، وان اشتغل بملكه حشر مع فرعون ، وأن اشتغل بوزارته حشر مع هامان ، وان اشتغل بتجارته حشر مع ابي بن خلف تاجر الكفار بمكة . وروى الامام احمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « من ترك صلاة مكتوبة متمعداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل^(٤) » .

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن ابي الدرداء ، وله شواهد من حديث معاذ عن الطبراني في الأوسط ، وعنده في الكبير ، وعند احمد واستاده صحيح ، ومن حديث أمية مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطبراني ، ومن حديث ام ايمن عند احمد والبيهقي ، وكلها لا يخلو من مقال ، ولكن يمتضد بها أقاؤه للتدري في الترغيب .

(٢) من حديث عمر .

(٣) رواه احمد بإسناد جيد من حديث عبيد الله بن عمرو ، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وابن حبان في صحيحه (متدري) . وقال المصنف في الرسالة الصغرى ليس استاده بذلك .

(٤) رواه احمد والطبراني في الكبير ، واستاد احمد صحيح لو سم من الانقطاع ، فان عبد الرحمن ابن جبير بن فقير لم يسمع من معاذ ، وفي الاوسط للطبراني بإسناد لا بأس به في المتابعات (متدري) . وهو حديث طويل في النهي عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش .

وروى البيهقي بإسناده^(١) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى في الاسلام ؟ قال الصلاة لوقتها ، ومن ترك الصلاة فلا دين له ، والصلاة عماد الدين ، ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين قال : نعم أما انه لاحظ لاحد في الاسلام أضاع الصلاة . وصلى رضي الله عنه وجرحه يشعب^(٢) دماً وقال عبد الله بن شقيق التميمي رضي الله عنه : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وسئل علي رضي الله عنه عن امرأة لا تصلي ، فقال : من لم يصل فهو كافر^(٣) . وقال ابن مسعود رضي الله عنه من لم يصل فلا دين له^(٤) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من ترك صلاة واحدة متممداً لقي الله تعالى وهو عليه غضبان^(٥) . وقال رسول الله ﷺ : « من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبا الله بشيء من حسناته - أي ما يفعل وما يصنع بحسناته - إذا كان مضيعاً للصلاة^(٦) » . وقال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق . وقال ابراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقال أيوب السخيتاني مثل ذلك . وقال عون بن عبد الله : ان العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه ، فان تجاوزت له نظر فيما دون ذلك من عمله ، وان لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد . وقال ﷺ : « إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة

-
- (١) أي في الشعب بسند ضعيفه ، وقال الحاكم ، عكرمة لم يسمع من عمر . قال ورواه عمر (عراقي) .
(٢) أي يسيل .
(٣) أخرجه الترمذي والحاكم عنه عن ابي هريرة ذكره المصنف في الصغرى .
(٤) رواه محمد بن نصر موقوفاً عليه (متدري) .
(٥) رواه محمد بن نصر الروزي وابن عبد البر بلفظ فقد كفر (متدري) .
(٦) قال العراقي : في معناه حديث « أول ما يجاسب به العبد الصلاة - وفيه - فان فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس .

وتقول : حفظك الله كما حفظتني . وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة ، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ، وتقول : ضيمك الله كما ضيقتني^(١) ، وروى أبو داود في سننه^(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم - من تقدم قوماً وهم له كارهون ، ومن استعبد^(٣) محرراً ، ورجل أتى الصلاة دباراً ، والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته . وجاء عنه ﷺ انه قال : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الكبائر^(٤) » ، فنسأل الله التوفيق والاعانة انه جواد كريم وأرحم الراحمين .

فصل : متى يؤمر الصبي بالصلاة

روى أبو داود في السنن ان رسول الله ﷺ قال : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها . » وفي رواية : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع . »

قال الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا الحديث يدل على اغلاظ العقوبة له إذا بلغ ثاراً لها .

(١) رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف ، والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (المعاني في تخريج أحاديث الأحياء) (٢) وكذا رواه ابن ماجه وفي سننه عبد الرحمن بن زياد الأفرنجي مختلف فيه (المنذري) . (٣) هو ان يعتقه ثم يكرهه أو ينكره أو يكرهه هل الخدمة بعد المتق . قاله الخطابي في « شرح السنن » .

(٤) رواه الحاكم من حديث حنش عن ابن عباس ، وقال : حنش هو ابن قيس ، ثقة . قال المنذري : بل رواه برة لا تعلم أحداً وثقة غير حسين (ترغيب) .

وكان بعض أصحاب الامام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ ، ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ ، فيدل على انه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعي وأحمد ، رحمهم الله : تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبتة . ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها ، فقال ابراهيم^(١) النخعي وأيوب^(٢) السخيتاني وعبد الله بن المبارك وأحمد^(٣) بن حنبل وإسحق^(٤) ابن راهويه : هو كافر . واستدلوا بقول النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » ، وبقوله ﷺ : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »

-
- (١) ابن يزيد أبو عمران الكوفي النخعي من رجال الكتب الستة توفي سنة ١٩٦ هـ .
(٢) أحمد الأئمة الاعلام من رجال الكتب الستة توفي سنة ١٣١ هـ .
(٣) الامام العلم شيخ المحدثين وأحمد قدهاء الامصار شيخ البخاري ومسلم وأبي داود مسان سنة ٢٤١ هـ .
(٤) إسحق بن ابراهيم بن محمد الحنظلي أبو محمد المشهور بابن راهويه شيخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي الامام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨ هـ

فصل

وقد ورد في الحديث^(١) : « ان من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات ، يرفع عنه ضيق الميت وعذاب القبر ، ويعطيه كتابه يمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب » . ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة ، خمس في الدنيا وثلاث عند الموت ، وثلاث في القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر . فأما اللاتي في الدنيا : فالأولى : ينزع البركة من عمره ، والثانية : يمحي سيئه الصالحين من وجهه ، والثالثة : كل عمل يعمل لا يأجره الله عليه ، والرابعة : لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة : ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما اللاتي تصيبه عند الموت فإنه يموت ذليلاً ، والثانية : يموت جائعاً ، والثالثة : يموت عطشاناً ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه ، وأما اللاتي تصيبه في قبره ، فالأولى : يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، والثانية : يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الحجر ليلاً ونهاراً ، والثالثة : يسلط عليه نهي قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرني ربي أن اضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، واضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر ، واضربك على

(١) هذا الحديث لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عزاه السيوطي في ذيل الموضوعات إلى ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ، ثم نقل عن « الميزان » ، هذا حديث باطل ، ركنه محمد ابن علي بن العباس علي أبي بكر بن زياد النيسابوري ، رجه « اللسان » هو ظاهر البطولات من احاديث الطريقة .

تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، واضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء ، واضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح . فكلمنا ضربه ضربة يغمص في الأرض سبعين ذراعاً ، فلا يزال في الأرض معذباً إلى يوم القيامة . واما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدت الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار . وفي رواية : فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات . السطر الاول : يا مضيع حق الله ، السطر الثاني : يا مخصصاً بغضب الله ، السطر الثالث : كما ضيعت في الدنيا حق الله فأيس اليوم من رحمة الله . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اذا كان يوم القيامة يوثي بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به الى النار ، فيقول : يا رب لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذباً .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لاصحابه : اللهم لا تدع فينا شقياً ولا محروماً . ثم قال ﷺ : اتدرون من الشقي المحروم؟ قالوا : من هو يا رسول الله؟ قال : « تارك الصلاة » .

وروي انه اول من يسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة ، وان في جهنم واديا يقال له « الملمح » فيه حيات ، كل حية (١) تخن رقبة البعير ، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سنها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

حكاية روي ان امرأة من بني اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله اني اذنبت ذنباً عظيماً وقد تبت منه الى الله تعالى ، فادع الله ان يغفر لي ذنبي ويتوب علي : فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يا نبي الله اني زنيت وولدت ولداً فقتلته فقال لها موسى عليه السلام : اخرجي

(١) وصف حيات جهنم جاء في حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي عند احمد والطبراني من طريق ابن لهيعة عن دراج عنه ، وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من طريق عمرو ابن الحارث عن دراج عنه ، وقال الحاكم صحيح الاسناد (منذري) .

يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائب يا موسى ، اما وجدت شرأ منها ؟ قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامداً متعمداً .

حكاية أخرى عن بعض السلف انه اتى اختاً له ماتت ، فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به احد حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس ، فوجد القبر يشعل عليها فأرأ فرد التراب عليها ورجع الى امه باكياً حزيناً فقال : يا أماء اخبريني عن أخي وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمي رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً . قال : فبكت وقالت يا ولدي كانت اختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها . فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لا يصلي ؟ فنسأل الله تعالى ان يميننا على المحافظة عليها في اوقاتها انه جواد كريم .

فصل : في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ، وقد روى في تفسير قول الله تعالى : (قويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) انه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه ، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، ثم قال له : ارجع فصل فانك لم تصل . فرجع فصل كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال : ارجع فصل فانك لم تصل ، فرجع فصل كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، وقال : ارجع فصل فانك لم تصل ثلاث مرات . فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني . فقال ﷺ : اذا قمت الى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ، ثم ارفع حتى تمتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، وافعل ذلك في صلاتك كلها . وروى

الامام احمد رضي الله عنه عن البديري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تجزى صلاة لا يقم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود ورواه ابو داود
ايضاً والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . وفي رواية اخرى : « حق
يقم ظهره في الركوع والسجود » .

وهذا نص عن النبي ﷺ في ان من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود
كما كان ، فصلاته باطلة ، وهذا في صلاة الفرض وكذا الطمأنينة ان يستقر كل
عضو في موضعه .

وثبت عنه ﷺ انه قال : « أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته : قيل
وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها^(١) !
وروي الامام احمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال
« لا ينظر الله إلى رجل لا يقم صلبه بين ركوعه وسجوده^(٢) » .

وقال ﷺ : « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين
قربي شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً^(٣) » .

وعن أبي موسى قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس ، فدخل
رجل فقام يصلي ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله ﷺ : ترون
هذا لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر
الغراب الدم ! اخرج أبو بكر بن خزيمة في صحيحه .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « ما من مصل

(١) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة قاله للمراقبي ، وكذا رواه
أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه بلفظ : أسوأ الناس الخ أفاده المنذري .

(٢) بإسناده صحيح (المراقبي) .

(٣) متفق عليه من حديث أنس ،

إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره ، فان أتمها عرجا بها الى الله تعالى ، وان لم يتمها ضربا بها وجهه^(١) .

وروى البيهقي بسنده^(٢) عن عبادة بن الصامت : ان رسول الله ﷺ قال : « من توضأ أحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظني ، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ، ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها . وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ، ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة ، فأغلقت دونها أبواب السماء ، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها .

وعن سلمان^(٣) الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان صلاة مكيال ، فمن وفي وفي له ، ومن طغف فقد علمتم ما قال الله في المطففين : قال الله تعالى (ويل للمطففين) والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة ، وعدم الله بويل وهو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره ، نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس^(٤) رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سجد احدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فان الله تعالى أوحى إلي أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين ، وصدور القدمين ، وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً ، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو

-
- (١) رواه الدارقطني في الافراد وهو ضعيف (الجامع الصغير للسيوطي) .
(٢) رواه الطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقي جاء ضعفه من الاحوص بن حكيم .
(٣) في المسند عن سالم بن ابي الجعد عن سالم قاله ابن القيم في رسالته في الصلاة (قنت) فيه انقطاع بين سالم وسلمان .
(٤) حديث ابن عباس أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء الخ متفق عليه وروى اسماعيل بن عبد الله المعروف بيسويه في فوائده عن حكيم بن اعين عن ابن عباس إذا سجد احدكم فليضع أنفه على الأرض فأتتم قد أمرتم بذلك « نيل الاوطار » .

حتى يفرغ من صلاته ، .

وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه رأى رجلاً يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة صليت ولو مت وانت تصلي هذه الصلاة ، مت على غير فطرة محمد ﷺ .

وفي رواية ابي داود انه قال : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال : ما صليت منذ اربعين سنة شيئاً ، ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم !

وكان الحسن البصري يقول : يا ابن آدم اي شيء يعز عليك من دينك اذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة كما تقدم من قول النبي ﷺ : « أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان صلحت فقد اقلح وانجح ، وان فسدت فقد خاب وخسر ، فان انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى : انظروا هل لعبيدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله كذلك (١) .

فينبغي للعبد ان يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق .

(فصل) في عقوبة ترك الصلاة (في جماعة) مع القدرة قال الله تعالى .

« يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَآئِلُونَ » .

(١) رآه الترمذي وغيره وقال : حسن غريب (منذري) .

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود.
قال ابراهيم التيمي : يعني إلى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة ، وقال
سعيد بن المسيب : كانوا يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » فلا يجيبون
وهم أصحاء سالمون .

وقال كعب الاحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن
الجماعة . فأبي وعيد أشد وابلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على
اتباعها ؟ وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : لقد
هممت ان آمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ، ثم انطلق معي برجال
معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة ، فاحرق بيوتهم
عليهم بالنار ، ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم الا على ترك واجب مع ما في
البيوت من الذرية والمتاع .

وفي صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لي
قائد يقودني إلى المسجد وسأل النبي ﷺ ان يرخص له أن يصلي في بيته فرخص له
فلما ولي دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فأجب »
ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله
ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار - أي بعيد الدار -
ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال « هل تسمع النداء ؟ »
قال ، نعم ، قال « فأجب فاني لا أجد لك رخصة » .

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد وليس
له قائد يقوده إلى المسجد ، ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته
فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضي
الله عنهما : عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع ؟
فقال : ان مات على هذا فهو في النار^(١) .

(١) رواه الترمذي موقوفاً (المنذري) .

وقال ابو هريرة رضي الله عنه لأن تمثلي اذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من ان يسمع النداء ولا يجيب^(١) .

وروي^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : من سمع المنادي بالصلاة فلم يمتعه من اتباعه عذر ، قيل وما العذر يا رسول الله ؟ قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعني في بيته .

واخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : وثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجل سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجيب .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الأذان^(٣) .

وروي^(٤) البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً - يعني يوم القيامة - فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادي بهن ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو إنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام في الصف أو حتى يجيء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

(١) عزاه الشيخ ابن القيم في كتاب الصلاة له إل وكيع عن عبدالرحمن بن حصين عن ابي نجيع السكي عنه .

(٢) رواه ابو دارود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه (المنذري) .

(٣) رواة احمد في مسنده عن وكيع عن سفيان عن ابي حيان التيمي عن ابيه عنه ، كما في كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم .

(٤) عزاه في « الترغيب والترهيب » إلى صحيح مسلم وابي دارود ، وكذلك عزاه للمنذري في الصغرى والطبقي نقله عنه الفتح ، له هنا من عزوه البخاري سبق قلم أو تحريف من النسخ .

وكان الربيع^(١) بن خيثم قد سقط شقه في الفالج ، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين ، فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك أنت معذور . فيقول : هو كما تقولون ، ولكن اسمع المؤذن يقول : حي على الصلاة حي على الفلاح ، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفاً أو حبواً فليفعل .

وقال حاتم الاصم : فاتتني مرة صلاة الجماعة فمزاني ابو اسحاق البخاري وحسده ، ولو مات لي ولد لمزاني أكثر من عشرة آلاف انسان ، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا .

وكان بعض السلف يقول : ما فاتت أحداً صلاة الجماعة الا بذنب أصابه وقال ابن عمر خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة . أشهدكم إن حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه ، والحائط : البستان فيه النخل .

(فصل) : ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد ، فان النبي ﷺ قال : ان هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ، يعني العشاء والفجر ، ولو يعلمون ما فيها من الاجر لا توها ولو حبوا^(٢) .

وقال ابن عمر : كنا اذا تخلف منا انسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة اسأنا به الظن أن يكون قد ناق^(٣) .

(حكاية) عن عبيد الله^(٤) بن عمر القواريري رضي الله عنه قال : لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط ، فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة

(١) مخضرم قال له ابن مسعود لو رأك النبي صلى الله عليه وسلم قوفى سنة ٥٦٤ هـ (خلاصة)

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث ابى هريرة (المنذري) .

(٣) رواه البزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه (المنذري) .

(٤) شيخ البخاري ومسلم رابى داود مات سنة ٥٢٥ هـ (خلاصة) .

العشاء في الجماعة ، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتي وقلت : قد ورد في الحديث : ان صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت ، فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا ايضاً على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسي فلا الحقم ، فالتفت إلى أحدهم فقال لي : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا : قلت : ولم ؟ قال : لانا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك . فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك ، فنسأل الله المعونة والتوفيق انه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة : منع الزكاة

قال الله تعالى : (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وقال الله تعالى : (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) فساهم المشركين . وقال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) .

وثبت^(١) عن رسول الله ﷺ انه قال : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره . كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس ، فيرى سيده أما إلى الجنة وأما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالأبل ؟ قال : « ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع^(٢) قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحداً تطؤه باخفافها وتمضه بأفواهما ، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سيده أما إلى الجنة وأما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : (ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء^(٣) ولا جلعاء ولا عضباء تنطعه بقرونها وتطؤه باظلافها^(٤)) كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس ، فيرى سيده أما إلى الجنة وأما إلى النار .

وقال^(٥) ﷺ : أول ثلاثة يدخلون النار - أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من سانه ، وفقير فخور .

وعن ابن عباس^(٦) رضي الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج ، أو تجب فيه الزكاة ولم يركها ، أو سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل : اتق

(١) رواه البخاري ومسلم بهذا اللفظ والنسائي مختصراً (منذري) .

(٢) هو المستوى من الأرض الاملس .

(٣) المقصاء : المتوية القرن ، والجلعاء : التي لها قرن ، والمضباء : المكسورة القرن .

(٤) الاظلاف البقر والغنم : كالحافر للفرس .

(٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وفي حديث أبي هريرة (منذري) .

(٦) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى الترمذي بسنده إلى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه مرفوعاً ، ثم قال : وهو عن ابن عباس من قوله أصح . قال ابن كثير : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع .

الله يا ابن عباس فانما يسأل الرجعة الكفار . فقال ابن عباس : سأتلو عليك بذلك قرآناً ، قال الله تعالى :

(وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ) .
أي أؤدي الزكاة (وأكن من الصالحين) أي أحج . قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة ، قيل فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة .

ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معداً للاستعمال ، فان كان معداً للفنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة .

وتجب في قيمة عروض التجارة ، وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزميته (أي بشدقيه) فيقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا هذه الآية :

(ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) اخرج البخاري .

وعن ابن مسعود^(١) رضي الله عنه في قول الله تعالى في ما نعي الزكاة : (يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته .

فان قيل : لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي ؟ قيل : لان الغني البخيل

(١) رواه الطبراني في الكبير بإسناد صحيح (متدري) .

إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه ، فإذا قرب منه ولي بظهره فعوقب بكي هذه الاعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

وقال ^(١) عليه السلام : « خمس بخمس » قالوا : يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : « ما تقض قوم العهد الا سلب الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ^(٢) ، ولا طفقوا الكيال والميزان الا تمنعوا النبات واخذوا بالنسبين ، ولا تمنعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر . »

(موعظة) قل للذين شغلهم في الدنيا غزورهم انما في غد ثبورهم ما نفهم ما جمعوا . اذا جاء محذورهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . أخذ المال الى دار ضرب العقاب فيجعل في بودقة ^(٣) ليحمي ليقوى العذاب . فصنع صفائح كي يعم الكي الاهاب ، ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب . يسمى الى مكان لا مع قوم يسمى نورهم . ثم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . اذا لقيهم الفقير لقي الاذى . فان طلب منهم شيئاً طار ^(٤) منهم لمب الغضب كالجذا ^(٥) . فان لطفوا به قالوا أعنتكم ذا . وسؤال هذا لذا ^(٦) . ولو شاء ربك لاغنى المحتاج وأعوز ذا . ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا وفقر ذا . واعجباً كم يلقاهم من غم

-
- (١) ذكره بنحو هذا اللفظ المنذري وقال : رواه الطبراني من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد .
(٢) في نسخة : الجنون .
(٣) البودقة أو البوتقة : ما يصهر فيه اللذات كالحديد والذهب والفضة .
(٤) وفي نسخة : نار .
(٥) الجذوة : الحجرة الملتببة بضم الجيم وتفتح ، جمعها جذدى مثل مدى وقوى وتكسر أيضاً فتكسر في الجمع مثل جذية وجذدى (العصباح) .
(٦) وفي نسخة : لهذا .

إذا ختمهم قبورهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهرهم . سيأخذها الوارث منهم من غير تعب . ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب . إلا أن الشوك له وللوارث الرطب . ابن حرص الجامعين ، ابن عقولهم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهرهم . لو رأيتهم في طبقات النار . يتقبلون على جمرات الدرهم والدينار . وقد غلت اليمين مع اليسار لما ^(١) بخلوا مع اليسار لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم . وقد ضج صبورهم ، يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهرهم . كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع . كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع كم أنبتوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع . فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع . فما هي عصي موسى ولا طورهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهرهم .

(حكاية) : روي عن محمد بن يوسف ^(٢) القرطبي قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابي ^(٣) في زيارة أبي سنان رحمه الله ، فلما دخلت عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نזור جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل ، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه ، فجلسنا نسلية ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية ، فقلنا : أما تعلم ان الموت سبيل لا بد منه ! قال : بلى ولكن ابني على ما أصبح وأمسى فيسه أخي من العذاب ، فقلنا له : هل أظلمك الله على الغيب ؟ قال : لا ، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره ، إذ صوت من قبره يقول : آه أقعدوني وحيداً أقاسي العذاب ، قد كنت أصلي ، قد كنت أصوم . قال : فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ، وإذا القبر يشتعل عليه

(١) وفي نسخة : مما .

(٢) هو صاحب الثوري وأحمد واسحاق والبغاري ولد سنة ٨١٢٠ روفي سنة ٨٢١٢ .

(٣) توفي أبو ذر قبل ولادة القرطبي بأكثر من ثمانين سنة ، وهذا وحده يكفي لاطهار كذب هذه الرواية .

ناراً وفي عنقه طوق من نار ، فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق
عن رقبتة فاحترقت اصابعي ويدي ، ثم أخرج الينا يده فاذا هي سوداء محترقة .
قال فرددت عليه التراب وانصرفت ، فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه ؟
فقلنا : فما كان أخوك يعمل في الدنيا ؟ قال : كان لا يؤدي الزكاة من ماله ، قال
فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى :

(ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة . قال : ثم خرجنا من عنده
وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل ، وقلنا له : يموت
اليهودي والنصراني ولا ترى فيهم ذلك ! فقال : أولئك لا شك انهم في النار ،
وانما يريدكم الله في أهل الايمان لتعتبروا . قال الله تعالى :

(قَنُ أَبْصَرَ فَلِيَنفُسِهِ . وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا . وَمَا
رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) .

فنسأل الله العفو والعافية انه جواد كريم .

الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عنز :

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) .
وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال : « بني الاسلام على خمس :

شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان .

وقال عليه السلام (١) : « من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وأن صامه » ، وعن ابن عباس رضي الله عنها « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان » فمن ترك واحدة منهن فهو كافر . نعوذ بالله من ذلك .

الكبيرة السابعة : في ترك الحج مع القدرة عليه :

قال الله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) .

وقال (٢) النبي صلى الله عليه وسلم : « من ملك زاداً وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج ، فلا عليه ان يموت يهودياً أو نصرانياً » . وذلك لأن (٣) الله تعالى يقول : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) .

وقال عمر بن الخطاب (٤) رضي الله عنه : لقد هممت ان أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين .

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه كلهم من رواية ابن الطوس وقيل أبي الطوس عن أبيه عن أبي هريرة ، وذكره البخاري تعليقاً غير مجزوم . ويذكر عن أبي هريرة رفعه للحج . قال البخاري : لا أدري سمع ابوه من أبي هريرة أم لا ، وقال ابن حبان : لا يحتج بما انفرد به والله اعلم (متدرى) ، وقال المصنف في الصغيرى : هذا لم يثبت .

(٢) رواه الترمذي والبيهقي من رواية الحارث - أي الاعور - عن علي قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقي من حديث أبي أمامة (متدرى) .

(٣) وفي نسخة : بأن ، وفي نسخة : أن .

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال : قال عمر فذكره . فسأله ابن كثير في تفسيره .

وعن ابن عباس^(١) رضي الله عنها قال : ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل : له انما يسأل الرجعة الكفار . قال : وان ذلك في كتاب الله تعالى : (وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرجتني إلى أجل قريب فأصدق) أي أؤدي الزكاة (وأكن من الصالحين) أي أحج ، (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون) قيل : فم توجب الزكاة ؟ قال : بمائتي درهم وقيمتها من الذهب ، قيل فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه .

الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين

قال الله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) أي برآ بهما وشفقة وعطفاً عليها . (إِمَّا يَنْتَلِفُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا) : أي لا تقل لهما بتيرم إذا كبرا وأسنا . وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي ، وقد كانا يحملان أذاك راجعين حياتك ، وأنت إن حلت أذاهما رجوت موتها . ثم قال الله تعالى : (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) أي لينا لطيفاً . (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَّبَّيَانِي صَغِيرًا) . وقال الله تعالى (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) .

(١) تقدم في منع الزكاة .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره . قال ابن عباس رضي الله
عنها : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها
(احدهما) قول الله تعالى : (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) . فمن أطاع الله ولم
يطع الرسول لم يقبل منه . (الثانية) قول الله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة) فمن صلى ولم يرك لم يقبل منه . (الثالثة) قول الله تعالى (أن اشكر لي
ولوالديك) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه . ولذا قال^(١) النبي
ﷺ : « رضي الله في رضي الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين » .

وعن ابن عمرو رضي الله عنها قال : جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد
معه ، فقال النبي ﷺ : « أحي والداك ؟ » قال : نعم . قال : ففنيها فجاهد »
مخرج^(٢) في الصحيحين ، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتها على الجهاد !
وفي الصحيحين^(٣) ان رسول الله ﷺ قال : « الا أنبئكم بأكبر الكبائر :
الإشراك بالله وعقوق الوالدين^(٤) » . فانظر كيف قرن الإساءة اليها وعدم البر
والإحسان بالإشراك وفي الصحيحين أيضاً ان رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل
الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر » . وعنه ﷺ قال :^(٥) « لو علم الله شيئاً
أدنى من الأف لنهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة .
وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » . وقال ﷺ : « لعن الله العاق »

(١) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رجع رفته عليه ، وابن حبان والحاكم وقال
صحيح على شرط مسلم ، وله شاهد عن أبي هريرة عند الطبراني بلفظ طاعة الله الخ (منذري) .
(٢) وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
(منذري) .

(٣) وكذا رواه الترمذي ، ثلاثتهم من حديث أبي بكر ا منه .

(٤) قامه . وكان متكئاً فجلس فقال : « ألا رقول الزور وشهادة الزور » فما زال يكررها
حتى قلنا لينة سكت .

(٥) رواه الديلمي من حديث احرم بن حوشب بسنده إلى الحسين بن علي ، وأحرم كذاب
قاله في ذيل اللآلئ للسيوطي .

لوالديه . . وقال^(١) : « لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه » .
وقال^(٢) : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق
الوالدين فإنه يعجل لصاحبه » يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رحمه الله : ان الله ليعجل هلاك العبد إذا كانت عاقبا
لوالديه ليعجل له العذاب ، وان الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه
ليزيده برأ وخيراً . ومن برهما ان ينفق عليها إذا احتاجا^(٣) . فقد جاء رجل
إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ان أبي يريد أن يحتاح مالي . فقال ﷺ :
« أنت ومالك لأبيك » . وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال :
هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمها ، وإذا أمره بأمر لم يطع أمرها ،
وإذا سألاه شيئاً لم يعطها ، وإذا ائتمناه خانها .

وسئل ابن عباس^(٤) رضي الله عنها عن أصحاب الاعراف من هم وما
الاعراف ؟ فقال : أما الاعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، وانما سمي الاعراف
لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون ، وأما الرجال
الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا
في الجهاد ، فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين
عن دخول الجنة ، فهم على الاعراف حتى يقضي الله فيهم أمره .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس (متذري) .

(٢) رواه الحاكم من حديث أبي بكر وقال صحيح الاسناد (متذري) .

(٣) رواه ابن ماجه من حديث يوسف بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر : ان رجلاً
جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ، وكذا أخرجه من هذا الوجه الطحاوي وربي بن محمد
والطبراني في الاوسط ، وله طرق أخرى عددا السخاري في المقاصد الحسنة .

(٤) رواه سعيد بن منصور عن أبي معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المدني
عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من
من طرق عن أبي معشره وروى مرفوعاً عند ابن ماجه في حديث ابن عباس وجابر ، وتوقف
ابن كثير في صحة المرفوع وقال : وقصارها ان تكون موقوفة ا هـ .

ﷺ : « الحالة بنزلة الام اي في البر والاكرام والصلة والاحسان » . وعن وهب بن منبه قال : ان الله تعالى أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه يا موسى وقر والديك ، فان من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يقره ، ومن عتق والديه قصرات في عمره ووهبت له ولداً يعقه .

وقال ابو بكر بن ابي مرجم : قرأت في التوراة ان من يضرب اباه يقتل .
وقال وهب : قرأت في التوراة : على من صك والده الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهني^(١) قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله اذا صليت الصلوات الخمس ، وصت رمضان ، وأديت الزكاة ، وحججت البيت ، فماذا لي ؟ فقال رسول الله ﷺ : من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الا ان يعق والديه . وقال ﷺ : لمن الله العاق والديه^(٢) ، وجاء عن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء ، قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا » .

وروي انه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جرم من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء الى الارض . ويروى انه اذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه اضلاعه وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزاني والعاق لوالديه .

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها الا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر اليها أفضل من كل شيء ، وجاء رجل وأمراًة الى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لها فقال الرجل : يا رسول

(١) رواه احمد والطبراني بسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما باختصار .

(٢) قال المصنف في الصغرى : اسناده حسن .

الله ولدي خرج من صليبي ، وقالت المرأة : يا رسول الله حملته خفاً ووضعته شهوة
وحملته كرهاً وأرضعته كرهاً وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله ﷺ
الأمه (١) .

(موعظة) : ايها المضيع لا كد الحقوق ، المتماض من بر الوالدين المعقوق ،
الناسي لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، ير الوالدين عليك دين ، وأنت
تتماطاه باتساع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهي تحت أقدام
أمك . حملتك في بطنها . تسمة أشهر كأنها تسع حجج . وكابدت
عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبناً ، وأطارت لاجلك
وسناً ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآتتكَ على نفسها بالفداء ، وصيرت
حجرها لك مهدياً ، وأتتكَ احساناً ورفداً ، فإن أصابك مرض أو شكاية ،
أظهرت من الأسف فوق النهاية ، واطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها
للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا
وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سرّاً وجهاراً . فلما احتاجت
عند الكبر اليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبت وهي جائمة ورويت
وهي قائمة : وقدمت عليها أهلك وأولادك بالاحسان ، وقابلت أيادها بالنسيان
وصعب لديك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، هجرتها ومالها
سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفف ، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف
ستمع في دنياك بمقوق البنين ، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين ، يناديك
بلسان التوبيخ والتهديد (ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للمبيد) :

لأمك حق لو علمت كثير	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي	لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير

(١) روى احمد وابو داود من حديث عمرو بن شبيب عن جده نحو هذا الحديث .

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
 وتقديك مما تشكبه بنفسها
 وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها
 فأها لذي عقل ويتبع الهوى
 فدونك فارغب في عمم دعاها
 وما حجرها الا لديك سرير
 ومن ثديها شرب لديك غير
 حنانا واشفاقا وانت صغير
 وآها لأعى القلب وهو بصير
 فأنت لما تدعو اليه ففسير

حكى (١) انه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة ، فرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ : ان زوجي علقمة في النزاع ، فأردت ان اعلمك يا رسول الله بحاله . فأرسل النبي ﷺ وسلم عماراً أوصيباً وبلالاً وقال : امضوا اليه ولقنوه الشهادة فمضوا اليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزاع ، فجعلوا يلقنونه (لا إله الا الله) ، ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه انه لا ينطق لسانه بالشهادة . فقال النبي ﷺ : هل من ابويه أحد حي ؟ قيل : يا رسول الله أم كبيرة السن ، فأرسل اليها رسول الله ﷺ وقال للرسول : قل لها ان قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك . قال : فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت : نفسي لنفسه فداء ، أنا أحق باتيانه . فتوكلت وقامت على عصا ، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة أصدقيني وان كذبتني جاء الوحي من الله

(١) في الترغيب والترهيب : روى عن عبد الله بن ابي أوفى قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال شاب يهود بنفسه - فذكر قصة نحو هذه القصة التي هنا ، ثم قال رواء الطبراني وأحد مختصراً ، وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات بدون تسمية الشاب ، ثم قال : لا يصح فائد - أي ابن عبد الرحمن المطار - متروراً قال العجلي : لا يتابع عليه رداود - يعني ابن ابراهيم قاضي قندوزين - كذاب .
 ونازعه السيوطي بأن داود لم ينفرد به ، ثم ساقه إلى الخرائطي في مساوي الأخلاق واليهيقي في شمع الايمان والطبراني ، كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن المطار عن عبد الله ابن ابي أوفى نحوه .

معاني، كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كثير الصلاة، كثير الصيام كثير الصدقة. قال رسول الله ﷺ فما حالك؟ قالت: يا رسول الله أنا عليه ساخطة. قال: ولم؟ قالت: يا رسول الله كان يؤثر علي زوجته ويعصيني. فقال رسول الله ﷺ: ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة. ثم قال: يا بلال انطلق وأجمع لي حطباً كثيراً. قالت يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك. قالت: يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي ان تحرقه بالنار بين يدي. قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فان سرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة. فقالت: يا رسول الله اني اشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين اني قد رضيت عن ولدي علقمة. فقال رسول الله ﷺ: انطلق يا بلال اليه وانظر هل يستطيع ان يقول لا إله إلا الله أم لا؟ فلعمل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني. فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: (لا إله إلا الله)، فدخل بلال فقال: يا هؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وأن رضاها أطلق لسانه. ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بنسبه وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره وقال: يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها. فنسأل الله أن يوفقنا لرضاءه، وان يحببنا لسخطه، انه جواد كريم رؤوف رحيم.

الكبيرة التاسعة : هجر الاقارب

قال الله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)
أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وقال الله تعالى : (قَهْلُ عَسِيَّتُمْ
إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) . وقال
الله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذْ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ،
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) . وقال الله تعالى : (يُضِلُّ بِهِ) أي
بالقرآن (كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ
الْحَاسِرُونَ) .

أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » .
فمن قطع اقاربه الضعفاء ومجرم وتكبر عليهم ولم يصلهم بغيره واحسانه وكان غنياً
وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد ، محروم عن دخول الجنة ، الا ان يتوب إلى
الله عز وجل ويحسن إليهم وقد ورد في الحديث^(١) عن رسول الله ﷺ انه قال :

(١) رواه الطبراني ورواه ثلاث من حديث ابي هريرة وفي سننه عبيد الله بن عامر
الاسلمي ، قال ابو حاتم ليس بالتردد (مندوي) .

من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينتظر إليه يوم القيامة ، وإن كان فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لآحوالهم لقول النبي ﷺ « صلوا أرحامكم ولو بالسلام » .

وقال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه (١) » وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال : « ليس الواصل بالمكافي ، ولكن الواصل الذي من إذا قطعت رحمه وصلها » .

وقال ﷺ (٢) : يقول الله تعالى « أنا الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » . وعن علي بن الحسين رضي الله عنها انه قال لولده : يا بني لا تصحب قاطع رحم فاني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣) انه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال : أخرج علي كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فلم يبق أحد إلا شاب من أقصى الحلقة ، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها . فقالت له عمته : ما جاء بك يا ابن أخي فقال اني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أخرج كل قاطع رحم الا قام من عندنا ، فقالت له عمته : ارجع إلى أبي هريرة وأسأله لم ذلك فرجع اليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الرحمة لا تنزل على قوم قبيح قاطع رحم » . وحكي أن رجلاً من الاغنياء حج إلى بيت الله الحرام ، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله الف دينار عند رجل كان موسوماً بالامانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات

(١) رواه البخاري واللفظ له ، وأبو داود والترمذي .

(٢) رواه أبو داود والترمذي من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وتعقب المنذري تصحيحه بأن سلمة لم يسمع من أبيه شيئاً .

(٣) عزاه في (الترغيب والترهيب) إلى الاصمعياني من رواية عبد الله بن أبي أوفى ، وأشار إلى ضعفه وعزاه في (الجامع الصغير) إلى الأدب المفرد (لبخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى وضعفه .

ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات، فسأل أهله عن ماله علم انه لم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له : إذا كان نصف الليل فأت زمزم^(١) وانظر فيها ، وناد يا فلان باسمه فان كان من أهل الجنة فسيجيئك بأول مرة ، فضى الرجل ونادى في زمزم فلم يجبه أحد ، فجاء اليهم وأخبرهم فقالوا : (إنا لله وإنا اليه راجعون) . نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار ، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بشر يسمى برهوت يقال انه على فم جهنم فانظر فيه بالليل ، وناد يا فلان فان كان من أهل النار فسيجيئك منها فضى إلى اليمن وسأل عن البثر فدل عليها ، فأثامها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان ، فأجابه فقال : أين ذهبي ؟ قال دفنته في الموضع الفلاني من داري ولم اتنم عليه ولدي ، فأتهم واحقر هناك تجده . فقال له : ما الذي انزلك ههنا وكنا نظن بك الخير ؟ فقال : كان لي أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبني الله سبحانه بسببها وانزلني الله هذه المنزلة .

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » يعني قاطع رحم كالأخت والحالة والعمة وبنات الأخت وغيرهم من الأقارب ، ففسأل الله التوفيق لطاعته انه جواد كريم .

(١) قال الامام « ابن القيم » في كتابه « الروح » : وأما من قال : ان ارواح المؤمنين تجتمع ببثر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها . ولا قول صاحب يوتق به وليس بصحيح ، فان تلك البثر لا تسع ارواح المؤمنين جميعهم ، وهو مخالف لما ثبت به السنة الصريحة من ان نسمة المؤمن طائر يعلق في فم الجنة . وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها . ونقش ما قيل ان ارواح المؤمنين بالجافية وأرواح الكفار ببثر برهوت بمحض موت - مناقشة ظوية قال في آخرها : ولعله مما تلقاه - يعني فأنه - من أهل الكتاب .

الكبيرة العاشرة ، الزنا :

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى :

(ولا تقربوا الزنا فإنه كان فاحشة وساء سبيلاً) وقال الله تعالى
(والَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ)

وقال الله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ) .

قال العلماء: هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عازبين غير متزوجين
فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر فإنها يرجان بالحجارة إلى أن
يموتا . كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ فإن لم يستوف القصاص منها في الدنيا
وماتا من غير توبة فإنها يعذبان في النار بسياط من نار .

كما ورد أن الزبور مكتوباً : إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضررون
عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاثت من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا
الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه !؟

وثبت^(١) عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة .

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس اليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن . وقال عليه السلام : « إذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان كالنظرة على رأسه ثم إذا أقلع رجع اليه الايمان »

وقال عليه السلام (٢١) : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » . وفي الحديث (٢٢) النبوي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ومملك كذاب وعائل مستكبر » .

وعن ابن مسعود (٢٣) رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : ان تجعل لله نداً وهو خلقك . فقلت : أن ذلك لعظيم ، ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك . قلت ثم أي ؟ قال ان تزني بحليلة جارك - يعني زوجة جارك - فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك :

(والذين لا يدعون مسح الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب) .

فانظر رحمك الله كيف قرنا الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين .

وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه سمرة بن جندب ، وفيه انه صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل وميكائيل قال : فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه

(١) رواه ابو داود والترمذي والبيهقي من حديث ابي هريرة (المنذري) ، وقال المصنف في صفراه : هذا عن شرط البخاري ومسلم .

(٢) رواه الحاكم من حديث ابي هريرة (المنذري) .

(٣) رواه مسلم واللساني من حديث ابي هريرة .

(٤) تقدم تحريمه في الكبيرة الأولى (الشرك) .

ضيق وأسفله واسع ، فيه لقط وأصوات . قال : فاطلمنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة ، فاذا هم يأتيهم لب مسن أسفل منهم ، فاذا أتاهم ذلك اللهب وضوضوا - أي صاحوا من شدة حره - فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الزناة والزواني - يعني من الرجال والنساء فهذا عذابهم إلى يوم القيامة (١) .
نسال الله العفو والعافية .

وعن عطاء (٢) في تفسير قول الله تعالى عن جهنم (لها سبعة أبواب) : قال : أشد تلك الأبواب غمًا وحرًا وكربًا وأنتنها ريحًا للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم وعن مكحول (٣) الدمشقي قال : يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة ، فيقال لهم هذه ريح فروج الزناة . وقال ابن زيد (٤) أحد أئمة التفسير : انه ليؤذي أهل النار ريح فروج الزناة . وفي العشر الآيات التي كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهي ، فاذا كان الخطاب لتبیه موسى عليه السلام فكيف بغيره ١٢

وجاء عن النبي ﷺ ان ابليس يبيت جنوده في الأرض ويقول لهم : أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه ، فأعظمهم فتنة أقربهم اليه منزلة فيجىء اليه أحدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، فيقول : ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها ، ثم يجىء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى القيت بينه وبين أخيه العداوة ، فيقول : ما صنعت شيئاً سوف يصلح ، ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زنى ، فيقول : ابليس . نعم ما فعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه ، نموذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

(١) رواه البخاري في حديث طويل .

(٢) عطاء أما ابن أبي رباح اليماني تزيل مكة احد فقهاء التابعين وأئمتهم المتوفي في سنة ٨١١٤ وأما ابن يسار المدني احد الاعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣ هـ .

(٣) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعي وغيره مات سنة ١١٣ هـ .

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم . جده اسلم مولى اسلم وعبيد الرحمن ضعيف في الحديث من قبل حفظه توفي سنة ١٨٢ هـ .

وعن أنس^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : ان الإيمان سربال يسريبه الله من يشاء ، فاذا زنى العبد نزع الله منه سربال الايمان ، فان تاب رده عليه ، وجاء عن النبي ﷺ انه قال : يا معشر المسلمين إتقوا الزنا فان فيه ست خصال ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فاما التي في الدنيا : فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر . وأما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار . وعنه^(٢) انه قال : « من مات مصراً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الفوطاة وهو نهر يجري في النار من فروج المومسات ، يعني الزانيات ، يجري من فروجهن قيح وصديد في النار ، ثم يسقى ذلك لمن مات مصراً على شرب الخمر .

وقال رسول الله ﷺ^(٣) : ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحمل له ، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « في جهنم واد فيه حيات كل حية تخذن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلي سمنها في جسمه سبعين سنة ، ثم يتهرى لحمه . وان في جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم ، ثم تضرب الزاني وتقرغ سمنها في جسمه يجد مرارة ونجمها ألف سنة ، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد . »

(١) رواه البيهقي في حديث أبي هريرة (المنذري) وشيوخه عند أبي داود والترمذي والحاكم . (ترغيب) .

(٢) رواه ابن الجوزي في موضوعاته عن أبي نعيم في الحلية من حديث مسلمة بن علي عن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة ربه مسلمة متروك وأبو عبد الرحمن الكوفي مجهول وكذا رواه البيهقي في الشعب من هذا الطريق وله طرق أخرى ساقطة عن أنس وعلى (الآلاء المنوعة) .

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه شيوخه (ترغيب) .

(٤) روى أحمد والطبراني من طريق ابن لهيعة عن دراج عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي حديثاً نحواً بما هنا (الترغيب) .

وورد أيضاً : ان من زنى بإمرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة ، فاذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته هذا إن كان بغير علم ، فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث . وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار .

وورد أيضاً ان من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ، فان قبلها قرضت شفتاه في النار ، فان زنى بها نطقت فخذاه وشهدت عليه يوم القيامة ، وقالت : أنا للحرام ركبت ، فينظر الله تعالى اليه بعين الغضب ، فيقع لحم وجهه فيكابر ، ويقول : ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت ، وتقول يدها : أنا للحرام تناولت ، وتقول عيناه أنا للحرام نظرت ، وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل مشيت ، ويقول فرجه : أنا فعلت ، ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ، ويقول الآخر : وأنا كتبت ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وستوت . ثم يقول الله تعالى : يا ملائكتي خذوه ومن عذابي أذيقوه ، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني ، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل :

(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح^(١) الحاكم : « من وقع على ذات محرم فاقتلوه » ، وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بإمرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله . ففسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا انه جواد كريم .

(١) قال المصنف في الصغرى : والمهدة عليه أي على الحاكم في هذا التصحيح .

الكبيرة الحادية عشرة : اللواط :

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع ،
من ذلك قول الله تعالى :

(فَلَمَّا جَاءَ أُمَّرْنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ) : أي من طين طبخ حتى صار كالآجر
(مَنْضُودٌ) أي يتلو بعضه بعضاً ، (مُسَوِّمَةٌ) أي معلمة بعلامة
تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ، (عِنْدَ رَبِّكَ) أي
في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه ، (وما هي من
الظالمين ببسعيد) ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن
يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب .

ولهذا ^(١) قال النبي ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من
فعل فعلهم ثلاثاً فقال « لعن الله من عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل قوم لوط ،
لعن الله من عمل قوم لوط ، وقال ^(٢) عليه الصلاة والسلام :
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ، قال ابن عباس
رضي الله عنها ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل
بقوم لوط .

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب ، والحاكم وقال صحيح الإسناد (منذري)
(٢) رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه كلهم من رواية عمرو بن ابي عمرو وعن عكرمة
عن ابن عباس ، وعمرو هذا احتج به الشيخان وغيرهما وقال ابن معين ثقة ينكر عليه حديث
عكرمة عن ابن عباس يعني هذا (منذري) .

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى :

(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) أي مجاوزون من الحلال إلى الحرام .

وقال الله تعالى في آية أخرى بخبراً عن نبيه لوط عليه السلام :

(وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ تَائِبِينَ) .

وكان اسم قريتهم سدوم ، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنها أنه قال : عشر نخصال من أعمال قوم لوط - تصفيف الشعر ، وحمل الأزرار ، ورمي البندق ، والحذف بالخصي ، واللعب بالحمام الطيارة ، والصفير بالأصابع ، وفرقة الاكعب ، واسبال الأزار ، وحمل أزر^(١) الاقية ، وادمان شرب الخمر ، واتيان الذكور ، وستريد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء .

وجاء^(٢) عن النبي ﷺ انه قال : « سعاق النساء بينهن زنا » ، وعن^(٣) أبي

(١) يضم الهزة وسكون الزاي كذا ضبطه في المنجد وقال : هو مفرد الأزار له والمراد هنا والله أعلم محل مفرد الأزار من الاقية .

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن واللقاله في الجامع الصغير واستاده ابن عقاب الصنف في صحراء .

(٣) رواه الطبراني والبيهقي من طريق محمد بن سلام الخزازي ولا يعرف عن أبيه عن أبي هريرة قال البخاري لا يتابع على حديثه (مندوي) .

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة يصبخون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الذكر يعني اللواط ، وروي^(١) انه إذا ركب الذكر الذكر إهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى ، وتكاد السماوات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى سكن غضب الله عز وجل .

وجاء عن النبي ﷺ انه قال : « سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة » ويقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به - يعني اللواط ، وناكح البهيمة ، وناكح الأم وابنتها ، وناكح يده الا أن يتوبوا .

وروي ان قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبال من الزنا كانوا يعشون في الدنيا بمذاكيرهم . وروي ان من اعمال قوم لوط : اللعب بالنرد ، والمسابقة بالحمام ، والمهارشة بين الكلاب ، والمناطحة بين الكباش ، والمناقرة بالديوك ، ودخول الحمام بلا منزر ، ونقص الكيل والميزان . ويل لمن فعلها .

وفي الأثر : من لعب بالحمام القلابسة لم يميت حتى يذوق ألم الفقر . وقال ابن عباس^(٢) رضي الله عنها : ان اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسح في قبره خنزيراً .

وقال^(٣) ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة في دبرها » ، وقال ابو سعيد الصعلوكي : سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون ، وهم

(١) ذكر السيوطي حديثاً نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة ابن أبي شيبة بخط مغربي لم يعرف كاتبه ، فذكر سنداً إلى أنس . قال : وكتب غيره عليه : هذا اسناد واه لسين موضوع (ذيل للآية)

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات مرفوعاً وقال : لا يصح مروان ابن عمسد يروي التاكير ، واسماعيل بن أم درم لا يحتج به .

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه .

على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصفحون ، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا ، لما صح^(١) عن النبي ﷺ انه قال : « زنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخطى ، وزنا الاذن الاستماع ، والنفس تمني وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه » . ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الاعراض عن المردان وعن النظر اليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم . قال الحسن^(٢) بن ذكوان : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فان لهم صوراً كصور العذارى ، فهم أشد فتنة من النساء . وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد اليه . وكان يقال : لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد . وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة لأن النبي ﷺ قال : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »^(٣) . وفي المردان من يفوق النساء بحسنه ، فالفتنة بسنه أعظم ، وانه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة ، فهو بالتحريم أولى . وأقاربيل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموم «الانتان» لأنهم مستقذرون شرعاً . وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب الى الصلاح وغيره . ودخل سفيان^(٤) الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : اخرجوه

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي بنحو مما هنا .

(٢) الحسن بن ذكوان البصري ابو سلمة يروي عن الحسن وابن سيرين .

(٣) ذكره الترمذي وروى نحوه الطبراني من حديث ابي امامة وأشار المتذري إلى ضعفه وقال غريب .

(٤) سفيان بن سعيد الثوري ابو عبيداه الكوفي أحد الاعلام قال الخطيب : كان الثوري اماماً من ائمة المسلمين وعلماً من اعلام الدين مجماً على امامته مع الاتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفي بالبصرة سنة ١٦١ .

عني أخرجوه فاني أرى مع كل امرأة شيطاناً ، وأرى مع كل صبي حسن بضعة
عشر شيطاناً

وجاء رجل إلى الامام احد رَحِمَهُ اللهُ ومعه صبي حسن فقال الامام ما هذا
منك؟ قال ابن اخي . قال : لا تجيء به اليك مرة أخرى ، ولا تمس معه في
طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً .

وروي^(١) ان وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم امرء صن
فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال: انما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر
وأنشدوا شعراً :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعمل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ماضر خاطره لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وكان يقال : النظر بريد الزنا ، وفي الحديث : النظر سهم مسموم من سهام
ابليس ، فمن تركه الله أورث الله قلبه حلالة عبادة يحدها إلى يوم القيامة .

(فصل) في عقوبة من أمكن من نفسه طائماً : عن خالد^(٢) بن الوليد
رضي الله عنه انه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه وجد في بعض
النواحي رجلاً ينكح في دبره فاستشار ابو بكر الصحابة رضي الله عنهم في أمره
فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ان هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم

(١) رواه الديلمي بسنده إلى الحسن بن سمرة به . قال ابن الصلاح في شكل الوسيط : لا
أصل لهذا الحديث ، وقال الزركشي في تحريج أحاديث الشرح الكبير : هذا حديث منكر فيه
ضعفاء ومجاهيل وانقطاع ، وقد استدلل على بطلانه بقوله صلى الله عليه وسلم : اني أراكم من
وراء ظهري (ذيل الموضوعات للسيوطي) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه لبيهقي بسند جيد (المنذري) .

لوط ، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم ، أرى أن يحرق بالنار فكتب ابو بكر
اليه أن أحرقه بالنار فأحرقه خالد رضي الله عنه .

وقال علي رضي الله عنه : من أمكن من نفسه طائماً حتى يتمكح ألقى الله
عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبرة إلى يوم القيامة .

وأجمت الأمة على أن من فعل بملوكه فهو لوطي مجرم ، ومما روي
ان عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ
عيسى عليه السلام ماء ليطفئه عنه ، فانقلبت النار صيباً وانقلب الرجل ناراً
فتمجج عيسى عليه السلام من ذلك ، وقال : يا رب ردما إلى حالهما في الدنيا
لأسألها عن خبرهما ، فأحيهما الله تعالى فاذا هما رجل وصبي ، فقال لهما عيسى
عليه السلام : ما خبركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله اني كنت في الدنيا مبتلي بحب
هذا الصبي فحملتني الشهوة ان فعلت به الفاحشة ، فلما أن مت ومات الصبي صير
ناراً يحرقني مرة وأصير ناراً أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة . نعوذ
بالله من عذاب الله ونسأله العفو والمغفرة والتوفيق لما يحب ويرضى .

(فصل) ويلتحق باللواط اتيان المرأة في دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله ،
قال الله عز وجل : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شتم) أي كيف شتم
مقبلين ومدبرين في صمام واحد أي موضع واحد . وسبب نزول هذه الآية أن
اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في
قبلها جاء الولد أسول ، فسأل أصحاب رسول ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية
تكذيباً لهم : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شتم) مجيبة أو غير مجيبة
غير ان ذلك في صمام واحد أخرجه مسلم .

وفي رواية : اتقوا الدبر والحبيضة ، وقوله في صمام واحد أي في موضع واحد
وهو الفرج لأنه موضع الحرث أي موضع مزرع الولد ، وأما الدبر فإنه محل
النجس وذلك خبيث مستقذر . وقد روى^(١) أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول

(١) رواه احمد وابو داود .

الله ﷺ انه قال : « ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها » .

وروى الترمذي^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد » . فمن جامع امرأته وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد ، وكذا إذا أتى كاهناً . وهو المنجم ومن يدعي معرفة الشيء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شي منها قصده .

وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي ، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ، ولذلك قال ابو الدرداء : كُنْ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً أَوْ مُسْتَعَلِّماً أَوْ مُحِبّاً وَلَا تَكُنْ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ ، وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يجب من يعمل ذلك . ويجب على العبد ان يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا . ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله ، والعافية فيما بقي من عمره . اللهم اننا نسالك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة انك ارحم الراحمين .

الكبيرة الثانية عشرة : الربا

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، وقال الله تعالى : الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه « ذلك » أي ذلك الذي أصابهم (بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) .

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي و ابو داود وابن ماجه كلهم من طريق حكيم الأزم عن أبي تيمة طريف بن خالد عن ابي هريرة . وسئل ابن المديني عن حكيم من هو ؟ فقال : اعيانا هذا . وقال البخاري في تاريخه الكبير : لا يعرف لابي تيمة سماع من أبي هريرة (منذري) قال النصف في الصغرى : وليس اسناده بالقائم .

أي حلالا فاستحلوا ما حرم الله ، فاذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين . إلا أكلة الربا فانهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع ، كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا ارباه الله في بطونهم حتى اتقلهم يوم القيامة ، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ، ويريدون الاسراع مع الناس فلا يقدرّون .

وقال قتادة^(١) : ان أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً ، وذلك علم لاكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف . وعن أبي سعيد^(٢) الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : لما أسرى في مررت بقوم بطونهم بين أيديهم ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يمرضون على النار غدواً وعشيا قال فيقبلون مثل الأبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون ، فاذا أحسن بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يشام آل فرعون ، فيردونهم مقبلين ومدبرين . فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة . قال ﷺ : « فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

وفي رواية^(٣) قال : لما عرج بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق ، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب تُمرى من ظاهر بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا .

(١) قتادة بن دعامة السدوسي البصري امام جليل في التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ٨١١٧ .

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره في سورة الاسراء إلى البيهقي في دلائل النبوة وإلى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرها ، كلهم من طريق أبي هارون الميموني عن أبي سعيد . قال : واسم أبي هارون عمارة بن جوين : مضعف عند الأئمة .

(٣) رواه احمد في حديث طويل وابن ماجه مختصراً والإصباحي ، كلهم من رواية علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة (للثوري) . وعلي ابن زيد هو ابن جدعان فيه كلام كثير في تضييفه .

وروي^(١) عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : إذا ظهر الزنا والزبا في قريسة أذن الله يهلكها . وعن عمر^(٢) مرفوعاً : آه إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتلبعوا أذنان البقر . وتركوا الجهاد في سبيل الله اتزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم .

وقال^(٣) عليه السلام : « ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما بنحس قوم الكيسل والوزن الا منهم الله القطر . »

وجاء في حديث فيه طول^(٤) : ان آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم ، ويلقم الحجارة ، وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا . هذا العذاب له في البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له . كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بنير حق ، والماق لوالديه الا أن يتوبوا .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على اخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت ، فحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد . فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قروداً وخنازير . وهكذا الذين يتحيلون

-
- (١) رواه أبو يعلى بإسناد جيد وله شاهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم إسناده (المنذري).
(٢) رواه أبو داود وغيره من طريق اسحق بن أسيد زيبيل مصر - مختلف فيه - والحديث من رواية ابن عمر (المنذري) .
(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم وقال كل شرط مسلم (المنذري) .
(٤) هو حديث سمرة الطويل في منام رآه النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري .

على الربا بأنواع الخيل فان الله لا تخفى عليه حيل المحتالين. قال ايوب^(١) السخثياني:
يخادعون الله كما يخادعون صيباً ، ولو أتوا الأمر عياناً كان أهون عليهم وقال^(٢)
ﷺ : « الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وأنت أربي الربا
استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم » فصح انه باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس^(٣) قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال:
« الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الاسلام » ،
وعنه^(٤) ﷺ قال : « الربا سبعون حوباً أهونها كوقع الرجل على أمه وفي
رواية أهونها كالذي ينكح أمه » والحبوب : الإثم .

وعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : الزائد والمستزيد في النار — يعني
الآخذ والمعطي فيه سواء نسأل الله العافية .

(فصل) عن ابن مسعود^(٥) رضي الله عنه قال : إذا كان لك على رجل دين
فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فانه ربا . وقال الحسن^(٦) رحمه الله : إذا كان لك
على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت . وهذا من قوله ﷺ : « كل قرض
جرّ نفماً فهو ربا » وقال ابن مسعود أيضاً : من شفع لرجل شفاعة فأهدى اليه
هدية فهي سحت ، وتصديقه من قوله ﷺ : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له

(١) ايوب بن أبي تيمية السخثياني أبو بكر البصري أحد الأئمة الاعلام من اكابر التابعين
مات سنة ٥١٣١ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق ، وهو من رواية البراء بن
عازب وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن ماجه والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق (المنذري)

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وأشار (المنذري) إلى ضعفه بتصديره بلفظ روى .

(٤) قال المنذري : رواه ابن ماجه والبيهقي كلاهما عن أبي معشر وقد وثق عن سعيد
اللقيري عن أبي هريرة .

(٥) ابو عبد الرحمن بن مسعود الصحابي الجليل توفي سنة ٣٢ .

(٦) هو البصري من كبار أئمة التابعين مات بعد سنة ٥١٤٠ .

عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا ، أخرجه أبو داود . فنسأل الله
المغفرة والعافية في الدين والدنيا والآخرة (١) .

الكبيرة الثالثة عشرة : اكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا
إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا » وقال الله تعالى :
« وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ » .

وعن أبي سعيد الخدري (٢) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في المعراج :
« فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحام ، وآخرون يجيئون بالصخور
من النار فيقذفونها بافواههم وتخرج من أديبارهم . فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟
قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا رواه مسلم .
وعن أبي هريرة (٣) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يبعث الله عز

(١) زاد في الصغيرى : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكرها
منها أكل الربا . متفق عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا وموكله » رواه
مسلم والترمذي . وزاد « وشاهديه وكاتبه » ، وقال صلى الله عليه وسلم « آكل الربا وموكله
وكاتبه إذا علموا ذلك ما عرفان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة » .

(٢) عزاه الشيخ ابن كثير في تفسيره عند قوله : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى » الخ وفي
سورة الاسراء من أولها إلى ابن أبي حاتم وفي سنده أبو هارون العبيدي واسمه عمارة بن جوين تركوه
ومتهم من كذبه ، كما في التقريب . فقول المصنف هنا رواه مسلم له سبق قلم من التسامح فحور .

(٣) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن مردويه وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عقبه
ابن مكرم بسنده إلى أبي برزة واسمه فضله بن عبيد الاسمي ، فعزو الحديث هنا إلى أبي هريرة
له رم آر من تحريف التسامح .

وجعل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارا ، فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول :

« إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا » .

وقال السدي^(١) رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وانفه وعينه كل من رآه يعرفه انه آكل مال اليتيم .

قال العلماء : فكل ولي ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه ، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقول الله تعالى :

« وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ » .

وفي الاكل بالمعروف أربعة اقوال : (احدها) انه الاخذ على وجه القرض (والثاني) الاكل بقدر الحاجة من غير اسراف ، و (الثالث) انه اخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً ، (والرابع) انه الاخذ عند الضرورة فان أيسر قضاء وان لم يوسر فهو في حل . وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي^(٢) في تفسيره .

(١) اسماعيل بن عبد الرحمن ابى كريم السدي بضم السين وحده الدال أبو محمد الكوفي صاحب التفسير صدوق بهم وروى بالتنسيق مات سنة ٥١٢٧ .
(٢) هو الحافظ جمال الدين المريني أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي الجوزي صاحب التصانيف المشهور البغدادي الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٥٥٧ .

وفي البخاري ان رسول الله ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما . وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال : « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة » وأشار بالسبابة والوسطى .

كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتسمية ماله ان كان له مال ، وان كان لا مال له انفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله في الحديث : له أو لغيره - أي سواء كان اليتيم قرابة أو اجنبياً منه ، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو اخوه أو امه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه ، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة .

وقال^(١) رسول الله ﷺ : « من ضم يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة الا ان يعمل ذنباً لا يفر » وقال ﷺ : « من مسح رأس يтим لا يمسه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ومن أحسن إلى يтим أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة^(٢) » .

وقال رجل^(٣) لأبي الدرداء رضي الله عنه : أوصني بوصية . قال : أرحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك ، فاني سمعت رسول الله ﷺ اناه رجل يشتكي قسوة قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : ان أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وأمسخ رأسه وأطعمه من طعامك ، فان ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك .

ومما حكي عن بعض السلف قال : كنت في بداية أمري مكباً على المعاصي وشرب الخمر ، فظفرت يوماً بصبي يтим فقير فأخذه وأحسنت اليه وأطعمته

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح بلفظ من قبض وله شواهد ذكرها النذري في الترغيب .

(٢) رواه احمد وغيره من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن ابي امامة .

(٣) رواه الطبري من رواية بقية وفيه راو لم يسم . قال النذري : وله شاهد من حديث ابي

هريرة رواه احمد ورجال رجال الصحيح .

وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه ، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم ان القيامة قامت ودعيت إلى الحساب ، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي ، فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروني سحبا إلى النار ، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق ، وقال : خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي ، فإنه قد أحسن إلي وأكرمني . فقالت الملائكة : إنا لم نؤمر بذلك ، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم واحسانه اليه . قال : فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل ، وبذلت جهدي في ايصال الرحمة إلى اليتام . ولهذا قال انس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء اليه ، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعا إلى يتيم أو ارملة . وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للارملة كالزوج الشفيق ، وأعلم كما تزرع كذا تحصد : معناه انك كما تفعل كذلك يفعل معك ، أي لا بد ان تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة . وقال داود عليه السلام في مناجاته : إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه ان اظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي . معناه ظل عرشي يوم القيامة .

ومما جاء في فضل الاحسان إلى الارملة واليتيم عن بعض العلويين - وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة ، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة ، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء ، واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ، ومضت تحتال لهم في القوت فمرت يجمعين : جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على رجل مجوسي وهو ضامن البلد . فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له ، وقالت : أنا امرأة علوية ومعني بنات ايتام ادخلتهم بعض المساجد المهجورة ، وأريد اللبسة قوتهم . فقال لها : أقمي

عندي البينة انك علوية شريفة . فقالت : انا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني فاعرض عنها ، فضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل الجهوسي فشرحت له حالها، وأخبرته ان معها بنات ايتام وهي امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وارسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فاطعمهن أطيب الطعام، والبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة . قال فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت ، وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان ، فقال : يا رسول الله لمن هذا القصر ؟ قال لرجل مسلم موحد . فقال : يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد . فقال رسول الله ﷺ : أقم عندي البينة انك مسلم موحد . قال : فبقي متحيراً فقال له ﷺ : لما قصدتك المرأة العلوية قلت اقمي عندي البينة انك علوية ، فكذا أنت أقم عندي البينة انك مسلم : فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة ، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها انها عند الجهوسي ، فأرسل اليه فأثاه فقال له : اريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها . فقال : ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني بن بركاتهم ما لحقني . قال : خذ مني الف دينار وسلمهن إلي ، فقال : لا أفعل فقال : لا بد منهن . فقال : الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي . أتدل علي بالاسلام ؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ، ورأيت مثل الذي رأيت في منامك ، وقال لي رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمناً في الأزل . قال فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله . فانظر رحمك الله إلى بركة الاحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا !

ولهذا ثبت في الصحيحين^(١) عن رسول الله ﷺ انه قال : (الساعي على الأرملة والمسكين كالجاهد في سبيل الله) . قال الراوي أحسبه قال : (وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) ، والساعي عليهم هو القائم بأموزهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى . وفقنا الله لذلك بنه وكرمه انه جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

الكبيرة الرابعة عشر : الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ :

قال الله عز وجل :

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ)

قال الحسن : هم الذين يقولون : ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل . قال ابن الجوزي في تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب ان الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض ، وانما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك .

وقال^(٢) ﷺ : (من كذب عليّ بنى له بيت في جهنم) ، وقال ﷺ : (ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) . وقال^(٣) ﷺ : (من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) .

(١) وابن ماجه من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روى عن غير ما واحد في الصحيحين والمسند والمسند وغيرهما حتى بلغ مبلغ التواتر (المنذري) .

(٣) رواه مسلم وغيره من حديث حمزة بن عمار : من حدث عني بحديث . فذكره (المنذري) .

وقال^(١) : (ان كذبا علي ، ليس ككذب علي غيري . من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وقال^(٢) : (من يقل عني ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار) وقال^(٣) : (يطبع المؤهل على كل شيء إلا الخيانة والكذب) . نسأل الله التوفيق والمعصمة انه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً^(٤) إلى فئة وان بعدت ، قال الله تعالى :

(وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ قَدَّ بِأَهْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وعن ابي هريرة^(٥) رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات) . قالوا : وما من يا رسول الله ؟ قال : (الشرك بالله ، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

(١) رواه مسلم وغيره من حديث النخعي يعني ابن تبعه (منذري) .

(٢) رواه البزار وابو يعلى من حديث سعد بن أبي وقاص ورواه الصحيح وذكره الدارقطني في المال مرفوعاً وموقوفاً وقال الموقوف أشبه بالصواب ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعاً وله شاهد عند احمد من حديث الأعمش قال حدثت عن ابي امامة فذكر نحوه اقاده المنذري في ترغيبه .

(٣) المتحرف للقتال من يفر عن العدو لخدعة حربية والتحيز لفئة من يفر عن وجه العدو لينضم إلى جماعة الجاهلدين وجملتهم .

(٤) تقدم تخريجه مراراً وأنه متفق عليه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال . لما نزلت :

(إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ) .

فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت :

(الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ . وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ . وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)

فكتب ان لا يفر مائة من مائتين . رواه البخاري .

الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه فم

قال الله تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْلَىٰ لَكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .
وقال الله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) . وقال الله تعالى : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .
وقال الله تعالى : (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

وقال رسول الله ﷺ (١) : « من غشنا فليس منا » ، وقال عليه السلام (٢) :
 « الظلم ظلمات يوم القيامة » ، وقال ﷺ (٣) : « كلكم راع وكلكم مسئول عن
 رعيته » . وقال (٤) رسول الله ﷺ : « ايما راع غش رعيته فهو في النار » ، وقال
 ﷺ : « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه الا حرم الله عليه الجنة » .
 أخرجه البخاري وفي (٥) لفظ : « يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله
 عليه الجنة » .

وقال ﷺ : « ما من حاكم يحكم بين الناس الا حبس يوم القيامة وملك آخذ
 بقفاه » ، فان قال ألقه القاه فهو في جهنم أربعين خريفاً . . . واه الامام أحمد (٦)
 وقال رسول الله ﷺ (٧) : « ويل للأمرء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء . لیتمنین
 أقوام يوم القيامة ان ذوابهم كانت معلقة بالثرى يعذبون ولم يكونوا عملوا
 من شيء » .

وقال (٨) ﷺ : « لياتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى انه لم
 يقض بين اثنين في تمرة قط » . وقال ﷺ : « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم

-
- (١) رواه مسلم من حديث ابي هريرة .
 (٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن عمر .
 (٣) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر .
 (٤) رواه الطبراني في الاوسط والصغير عن أنس، ورواته ثقات إلا عبيد الله بن مسيرة أبا
 ليلي ، وشواهدة الصحيحه كثيرة عن معقل بن يسار في الصحيحين وعن ابن عباس وغيرهما .
 (٥) يعني لبخاري أيضاً .
 (٦) وروى ابن ماجه والبخاري نحرأ من هذا في حديث ابن مسعود وفي أسنادهما عبالد بن
 سميد مختلف فيه (المنذري) .
 (٧) رواه أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً من طرق رواة بعضها ثقات (المنذري) في موضع .
 وقال في موضع رواه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد .
 (٨) رواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث ابن هريرة رجال البزار رجال الصحيح
 وله شاهد من حديث سعد بن ابي وقاص عند أحمد وعن ابي الدرداء عند ابن حبان (المنذري) .

القيامة منفلولة يده إلى عنقه أما اطلقه عدله أو أوبقه جوراً (١) .

ومن دعاء (٢) رسول الله ﷺ انه قال : « اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئاً فرقق بهم فارقق به . ومن شقق عليهم فاشقق عليه » . وقال (٣) ﷺ : « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وقرم احتجب الله دون حاجته وخلته وقره » .

وقال (٤) رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء فسقة جوراً ، فمن صدقهم يكذبهم وأعابهم على ظلمهم قليس مني ولست منه ، ولن يرد على الخوض » وقال (٥) رسول الله ﷺ : « صنفان من أممي لن تنالهم شفاعتي : سلطان ظلوم غشوش ، وغال في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم » . وقال (٦) عليه السلام : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر » . وفي الحديث (٧) ان رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم . ان الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ، ثم عمهم بالبلاء » .

وقال (٨) رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،

(١) رواه احمد وابن حبان من حديث عائشة .

(٢) مسلم والنسائي من عائشة .

(٣) ابر داود والترمذي عن ابي مريم عمرو بن مرة الجهني .

(٤) رواه احمد والترمذي ، وصححه النسائي والبخاري باللفظ متقاربه مسن حديث كعب

ابن عجرة .

(٥) رواه الطبراني في الكبير من حديث ابي امامة ورجالته ثقات .

(٦) رواه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود ورواه ثقات إلا ليت بن سليم .

(٧) رواه الاصبهاني من حديث ابن عمر وأشار النذري إلى ضعفه .

(٨) رواه البخاري ومسلم وابو داود من حديث عائشة .

لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً « وفي الحديث (١١) أيضاً «من لا يرحم لا يرحم» لا يرحم الله من لا يرحم الناس « . وقال (١٢) : «الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» . وقال (١٣) : «المتقون على منابر من نور» الذين يمدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال : «إياك وكرايم اموالهم» واتق دعوة المظلوم فانتها ليس بينها وبين الله حجاب» روى البخاري، وقال (١٤) عليه الصلاة والسلام : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : فذكر منهم الملك الكذاب» وقال : انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة» روى البخاري وفيه أيضاً «وانا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه» .

وقال (١٥) رسول الله ﷺ : يا كعب بن عجرة اعاذك الله من امارة السفهاء ، أمراء يكوونون من بعدي لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي . وعن (١٦) أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله فله النار .

وقال (١٧) : «ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة»

(١) روى البخاري ومسلم والترمذي من حديث جرير بن عبد الله وله شواهد من حديث ابي موسى وابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وغيرهم والسنن والسند والطبراني .

(٢) روى البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة في ضمن حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله .

(٣) روى مسلم والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٤) روى مسلم وغيره من حديث ابي هريرة .

(٥) روى احمد والبخاري ورواه محتج بهم في الصحيح (التنري) .

(٦) روى ابر داره .

(٧) تمامه «فمنعت المرضعة ريشت الفاطمة» روى البخاري والنسائي من حديث ابي هريرة .

وقال (١) عمر لأبي ذر رضي الله عنها : حدثني بحديث سمعته من رسول الله ، فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بالوالي يوم القيامة فينبد به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه ، فان كان مطيعاً لله في عمله مضى به ، وان كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مقدار خمسين عاماً » . فقال عمر : من يطلب العمل بها يا أبا ذر ؟ قال : من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب .

وقال عمرو بن المهاجر ، قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبائي ثم قل : يا عمر ما تصنع .

يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ، السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيما تخصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمك ، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتفرح بآمالك والسير خبيث . ان الظلم لا يترك منه قدر أنملة . فاذا رأيت ظالماً قد سطا فتم له ، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة أي قروح في الجسد .

الكبيرة السابعة عشر : الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتهيه - قال الله تعالى : (وقال موسى إني عذتُ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) . وقال الله تعالى : (إنه لا يُحِبُّ المُتَكَبِّرِينَ) .

(١) روى نحوه ابن الدنيا من حديث أبي هريرة أن بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر فذكره ، وان عمر سأل سلمان وأبا ذر فصدقاه (النذري) وضعفه .

وقال^(١) رسول الله ﷺ : « بيننا رجل يتبختر في مشيه إذ خفف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقال^(٢) عليه الصلاة والسلام : « يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطوّم الناس بغشام الذل من كل مكان » وقال بعض السلف أول ذنب عصى الله به الكبر . قال الله تعالى :

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) .

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم ، وقال الله تعالى : (ان الله لا يحب كل مختال فخور) وقال ﷺ : قال الله تعالى : « العظمة ازارني والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها القيته في النار » رواه مسلم المنازعة : المجاذبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالي ما يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار أوثرت بالجبارين والمتكبرين » الحديث^(٣) ، وقال الله تعالى : (ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً . ان الله لا يحب كل مختال فخور) . أي لا تمل خدك ممرضاً متكبراً . والمرح التبختر .

(١) رواه البخاري والنسائي وغيرهما بنحوه من حديث ابن عمر وشواهد من حديث أبي سعيد الخدري وجابر وأبي هريرة وأقر بها إل ما هنا لفظ أبي هريرة عن البخاري ومسلم كما في المنذري .

(٢) تمامه : يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس تعلم نار الانيار يساقون من عصارة أهل النار طينة الحبال ، رواه النسائي والترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص .

(٣) تمامه « ففضى الله بينها أنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وأنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما ملؤها » رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري (منذري) .

وقال سلمة بن الأكوع : « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشيئه » قال : كل بيمينك . قال : لا استطيع ، فقال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد » رواه مسلم . وقال (١) عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » : العتل الغليظ الجافي والجواظ : الجموع المنوع ، وقيل الضخم المختال في مشيئه ، وقيل البطين .

عن ابن عمر (٢) رضي الله عنهما : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يختال في مشيئه ويتعاطم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان » . وصح (٣) من حديث أبي هريرة : أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط أي ظالم ، وغني لا يؤدي الزكاة ، وفقير فخور . وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق ، سلمته بالهلف الكاذب ، والمسبل هو الذي يسبل أزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال : (٤) « ما أسبل من الكميين من الأزار فهو في النار » .

وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاطم في نفسه بفضيلته فان هذا لم يتفقه علمه فان من طلب العلم للأخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه ، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدتها ، فان غفل عنها جمعت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفتور والرياسة وبطر على المسلمين وتعامق عليهم راردرام ، فهذا من أكبر الكبر ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

-
- (١) رواه البخاري ومسلم من حديث حارثة عن وهب .
(٢) رواه الطبراني في الكبير ورواه عنه عتج يوم في الصحيح والحاكم وقال صحيح طرطرمسلم .
(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .
(٤) رواه البخاري ، من حديث أبي هريرة .

الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) الآية وفي الأثر^(١) عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين ، وقال الله تعالى : (وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) .

وفي الحديث^(٢) لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار . قال المصنف رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظام (أحدهما) الكذب والافتراء . قال الله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .

وفي الحديث^(٣) يطبع المؤمن على كل شيء ليس الحيانة والكذب ، وثانيها إنه ظلم الذي شهد عليه حتى اخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه .

(وثالثها) : إنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجب له النار ، وقال^(٤) صلى الله عليه وسلم : « من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من نار » (ورابعها) : أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والمرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشرak بالله ، وعقوق الوالدين ، إلا وقبول

(١) هذا الحديث من رواية حزم بن فانك مرفوعاً فذكره قال : ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حتفاه الله غير مشركين به) رواه أبو داود وهذا لفظه والترمذي وابن ماجه ورواه الطبراني في الكبير موقوفاً على ابن مسعود بإسناد حسن (متدري) .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن عمر بلفظ « لن تزول » .

(٣) تقدم في الكبيرة الرابعة عشرة تحريمه .

(٤) متفق عليه من حديث أم سلمة ونحوه في أبي داود (مشكاة) .

الزور ، الا وشهادة الزور .. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، رواه البخاري (١) . فسأل الله تعالى السلامة والعاية من كل بلاء .

الكبيرة التاسعة عشر : شرب الخمر

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
وَالْمَيْسَرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسَرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) .

فقد نهي عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها ، وقال النبي (ﷺ) :
« اجتنبوا الخمر فانها أم الحبائث » فمن لم يمتنبها فقد عصي الله ورسوله واستحق
العذاب بمعصية الله ورسوله . قال الله تعالى :

(وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا
خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) .

وعن ابن عباس (٣) رضي الله عنها قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة
بعضهم إلى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك .

(١) ومسلم والترمذي من حديث ابي بكر .

(٢) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ « فانها مفتاح كل شر » وقال صحيح الاسناد وفي
حديث عثمان مرفوعاً اجتنبوا أم الحبائث فانه كان رجل من كان قبلكم « الخ فذكر قصة -
رواه ابن حبان والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً وذكر أنه المحفوظ (منذري) .

(٣) رواه الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح .

وذهب^(١) عبد الله بن عمرو الى ان الخمر اكبر الكبائر ، وهي بلا ريب ام
الخبائث وقد لعن شارحها في غير حديث^(٢) . وعن ابن عمر رضي الله عنها قال :
قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في
الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشرها في الآخرة » رواه مسلم^(٣) ،
وروى مسلم^(٤) عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان على
الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله
وما طينة الخبال ؟ قال : عرق اهل النار او عصارة اهل النار » .

وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : من شرب الخمر في الدنيا يجرمها
في الآخرة .

ذكر ان مدمن الخمر كما بد وثن : رواه الامام أحمد في مسنده من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « مدمن الخمر كما بد وثن » .

ذكر ان مدمن الخمر اذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة : روى النسائي^(٥)
من حديث ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن
خمر » وفي رواية « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه ،
والديوث وهو الذي يقر السوء في أهله » .

ذكر ان المسكر ان لا يقبل الله منه حسنة : روى^(٦) جابر بن عبد الله أن رسول
الله ﷺ قال : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة الى السماء : العبد

(١) رواه الطبراني مع قصة باسناد صحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

(٢) من حديث ابن عمر عن أبي داود وابن ماجه حديث انس عن ابن ماجه والترمذي .

وحديث ابن عباس عن أبي داود واحمد ، وابن حبان والحاكم .

(٣) البخاري وابو داود والترمذي والنسائي والبيهقي .

(٤) والنسائي .

(٥) واحمد والبخاري والحاكم وقال صحيح الاسناد .

(٦) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي والطبراني في الأوسط .

الأبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو .

والخمر ما خامر العقل أي غطاه سواء كان رطباً او يابساً او ما كولا او مشروباً ، وعن أبي سعيد الخدري (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة مسا دام في جسده شيء منها » . وفي رواية « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً ، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة اربعين صباحاً ، فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله ان يسقيه من مهل جهنم » . وقال رسول الله ﷺ : « من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه اربعين ليلة ، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً اربعين ليلة ، فإن مات فيها مات كعابد وثن ، وكان حقاً على الله ان يسقيه من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار القبيح والدم » .

وقال عبدالله بن أبي أوفى : من مات مدمناً للخمر مات كعابد السلات والغزى . قيل : أرأيت مدمن الخمر هو الذي لا يستفيق من شربها ؟ قال : لا ولكن هو الذي يشربها اذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر ان من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها : عمن ابي هريرة عن النبي ﷺ : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد . أخرجه البخاري (٢) وفي الحديث (٣) « من زنى أو شرب الخمر نزع الله

(١) ذكره في اللآلئ المصنوعة عن عبد بن حميد بسنده إلى ابي سعيد الخدري .

(٢) روي بالفاظ نحو مما هنا أقربها حديث عبدالله بن عمرو وعنه ابن حبان في صحيحه والحاكم مختصراً ، وكذا حديث عبدالله بن عمر عنده الترمذي وحسنه الحاكم والنسائي ، ووقفه عليه مختصراً (النذري) :

(٣) مسلم وابو داود والترمذي والنسائي ، وقوله : والتوبة معروضة بعد ، من زيادة مسلم وابي داود (النذري) .

(٤) رواه الحاكم من حديث ابي هريرة .

منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه ، وفيه : من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ، ومن شربها مصباحاً أمسى مشركاً . وفيه (١١) عن النبي ﷺ انه قال : « إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن » . وروى (١٢) الامام احمد من حديث ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الفوطه وهو ماء يجري من فروج المومسات - اي الزانيات يؤذي اهل النار ريح فروجهن » .

وقال رسول الله ﷺ (١٣) : « ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين ، بعثني لأتحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية ، وأقسم بي تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء » .

ذكر من لعن في الخمر : روى أبو داود (١٤) إن رسول الله ﷺ قال : لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والحمولة اليه وآكل ثمنها » ، ورواه الامام (١٥) احمد من حديث ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والحمولة اليه وساقبها ومستقيها » .

-
- (١) رواه الطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة وشار المنذري الى ضعفه .
(٢) وابو ليلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصحبه .
(٣) رواه احمد من حديث أبي أمامة من طريق علي بن يزيد يعني الالهاني فيه خلاف والاكثر على تضعيفه .
(٤) رواه من حديث ابن عمر بلفظ « لعن الله الخمر الخ » ولفظ وآكل ثمنها من زيادة ابن ماجه وشاعده من حديث أنس عند الترمذي (المنذري) .
(٥) أي بسند صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال صحيح (منذري) .

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر اذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم :
 عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : (لا تعودوا شراب الخمر
 إذا مرضوا) . قال البخاري ، وقال ابن عمر لا تسلموا على شربة الخمر ، وقال (١)
 ﷺ : « لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنازتهم ، وان
 شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه ، مدلماً لسانه على صدره ، يسيل
 لعابه يقدره كل من رآه وعرفه انه شارب خمر » .

قال بعض العلماء : إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر
 فاسق ملعون ، قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله : لعن الله الخمر وشاربيها
 الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين ، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً
 ثلاث مرات ، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا ان يتوب فمن تاب تاب
 الله عليه .

ذكر أن الخمر لا يجعل التداوي بها : عن ام سلمة (٢) رضي الله عنها قالت :
 اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز ، فدخل علي رسول الله ﷺ وهو يغسلني ،
 فقال : ما هذا يا ام سلمة ؟ فذكرت له اني اداوي به ابنتي فقال رسول الله ﷺ
 « ان الله تعالى لم يجعل شفاء امي فيما حرم عليها » .

ذكر أحاديث متفرقة رويت في الخمر : من ذلك ما ذكره ابو نعيم في «الحلية»
 عن أبي موسى رضي عنه ، قال : أتى النبي ﷺ بنبيذ في جرة له نشيش
 فقال : « اضربوا بهذا الحائط فان هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر » .
 وقال رسول الله ﷺ : « من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها
 الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات عن ابن عدي بسنده إلى ابن عمر وقال موضوع فيه
 شعفاء لث وجعل بن الحارث ابو الاشهب وابو مطيع ، وله طرق أخرى لا رفعه عن الحفيظ
 (٢) رواه البيهقي وابو يعلى وشاهده عن ابن مسعود عن احمد والحاكم وغلطه والبخاري
 عن ابن مسعود بصيغة الجزم .

يدي الله تبارك تعالی فیخاصه ، ومن خاصه القرآن خصم . فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة وجاء عن النبي ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، يقول أحدهم للآخر : يا فلان لا جزاك الله عني خيراً فانت الذي أوردتني هذا المورد ، ويقول له الآخر مثل ذلك » ، وجاء عن النبي ﷺ انه قال : « من شرب الخمر في الدنيا سقاها الله من سم الاسودة شربة يتساقط لحم وجهه في الاناء قبل ان يشربها ، فاذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهمل النار ، الا وشاربها وعاصرهما ومعتصرهما وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء في انهما ، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوم ولا حجاً حتى يتوبوا ، فان ماتوا قبل التوبة كان حقاً على الله ان يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام » .

ويدخل في قوله ﷺ كل مسكر خمر : الحشيشة كما سيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالی . روي « ان شربة الخمر إذا اتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال ، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لاحتقت السماوات من حرها » نعوذ بالله منها .

ذكر الآثار عن السلف في الخمر : ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال : اذا مات شارب الخمر فادفنهوه ، ثم اصلبوه على خشبة ، ثم انبشوا عنه قبره فان لم تزوا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصوباً . وعن الفضيل بن عياض انه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فكررها عليه فقال : لا أقولها وانا برىء منها ، فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ، ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به إلى النار ، فقال له : يا مسكين بم نزعنا منك المعرفة ؟ فقال : يا استاذ كان بي علة فأتيت بعض الاطباء فقال لي تشرب في كل سنة قدساً من الخمر وان لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت اشربها في كل سنة لأجل التداوي ! فهذا حال من يشربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض الثائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة ، فسألت اهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة . وقال بعض الصالحين : مات لي ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه . فقلت : يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك ؟ فقال : يا ابني دفن إلى جانبي رجل ممن كانت يشرب الخمر في الدنيا ، فزفرت جهنم لقدمه زفرة لم يبق منها طفل الا شاب رأسه من شدة زفرتها ، نعوذ بالله منها ، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة .

فالواجب على العبد ان يتوب إلى الله تعالى قبل ان يدركه الموت وهو على اشر حاله ، فيلقى في النار ، نعوذ بالله منها .

(فصل) : والحشيئة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يجد شاربها ، كما يجد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر ، من جهة انها تقصد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث وديانة وغير ذلك من الفساد . والخمر أخبث من جهة انها تقضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها ، ورأى ان أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً ، وليس كذلك بل أكلتها ينشون ويشتهونها كشراب الخمر واكثر ، حتى لا يصبروا عنها وتصدم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثرا منها ، مع ما فيها من الديانة والتهنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك . لكن لما كانت جامدة مطحومة - ليست شراباً - تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الامام أحمد وغيره ، فقيل : هي نجسة كالخمر المشروبة ، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ، لجودها ، وقيل يفرق بين جامدها ومائتها ، وبكل حال : فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى ، قال ابو موسى : يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نضعهما باليمن « البتع » وهو من العسل ينبذ

حقى يشتد ، و « الزر » وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواصه ، فقال ﷺ : « كل مسكر حرام » رواه مسلم ، وقال ﷺ : « ما اسكر كثيره فقليله حرام » ، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه ما كولا أو مشروباً ، على ان الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز ، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ، والخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تشرب وتؤكل ، وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الاسلام وقد قيل في وصفها شعراً :

فأكلها وزارعها حلالاً فتلك على الشقي مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الحسنة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً عشت في أكلها بأقبح عيشه
قيمة الرء جوهر فلماذا يا أخا الجهل بعته بحشيشه

(حكاية) : عن عبد الملك بن مروان : ان شاباً جاء اليه بأكيأ حزينا فقال : يا أمير المؤمنين اني ارتكبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ قال وما ذنبك ؟ قال : ذنبي عظيم . وما هو فتنب إلى الله تعالى فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . قال : يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أموراً عجيبة قال : وما رأيت ؟ قال يا امير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة ففخت منه ، وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول في القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة ؟ فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفاً بالصلاة . هذا جزاء مثله . ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه ، ففخت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لي : ألا تسأل عن عمله ، ولماذا يعذب ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة . والثالث يا أمير المؤمنين

نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار واخرج لسانه من قفاه ، فخفت ورجعت ، وأردت الخروج فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلي ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول ، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله . والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد اشتعل ناراً فخفت منه وأردت الخروج ، فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ فقلت وما حاله ؟ فقال : كان تاركاً للصلاة . والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فرأيت قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع ، والميت قائم على سرير ، وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتني منه هيبه ، وأردت الخروج فقيل لي : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة . فقلت : لماذا أكرم ؟ فقيل لي : لأنه كان شاباً طائعاً نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته فقال عبد الملك عند ذلك : ان في هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين . فالواجب على الميتي بهذه المعائب الميامرة إلى التوبة والطاعة ، جعلنا الله وإياكم من الطائعين ، وجنبنا أفعال الفاسقين ، انه جواد كريم .

الكبيرة المشرون : القهار

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) .

والميسر هو القمار بأي نوع كان ، نرد أو شطرنج أو فصوص أو كصاب أو جوز أو بيض أو حصي أو غير ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى

الله عنه بقوله : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ، ودأخل في قول النبي ﷺ (١) : « ان رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » ، وفي صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال : « من قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق » ، فاذا كان مجرد القول بوجوب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل؟!!

(فصل) : اختلف العلماء في الرد والشطرنج إذا خليا عن رهن ، اتفقوا على تحريم اللعب بالرد لما صح عن رسول الله ﷺ انه قال : « من لعب بالرد شير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه » اخرج مسلم . وقال ﷺ (٢) : « من لعب بالرد فقد عصى الله ورسوله » . وقان ابن عمر رضي الله عنه : اللعب بالرد قار كالدهن بودك الخنزير .

قال : وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها ، سواء كان برهن أو بغيره . أما بالرهن فهو قار بلا خلاف ، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضاً قار حرام عند أكثر العلماء ، وحكي اباحتها في رواية عن الشافعي : إذا كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة في وقتها . وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز ؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هو حرام عند أكثر أهل العلم . وسئل أيضاً رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا ، وهل يأنم اللاعب بها أم لا ؟ أجاب رحمه الله : ان فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام ، وإلا فكروه عند الشافعي ، وحرام عند غيره ، وهذا كلام النووي في فتاويه .

والدليل على تحريمه على قول الاكثرين في قول الله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) إلى قوله (وان تستقسموا بالاذلام) قال سفيان ووكيع بن الجراح : هي الشطرنج ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم . ومرّ رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال : ما هذه

(١) رواه البخاري كما قاله المؤلف في الرسالة الصغرى .

(٢) رواه مالك وابو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح على شرطها .

التائيل التي آتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم جرأ حق يطفى خير له من أن يمسها . ثم قال : والله لغير هذا خلقتم . وقال أيضاً رضي الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس . يقول أحدهم : قتلت ، وما قتل . ومات وما مات . وقال ابو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه : لا يلعب بالشطرنج إلا خاطيء . وقيل لاسحاق بن راهويه ، أتى في اللعب بالشطرنج بأس ؟ فقال : البأس كله فيه . فقيل له : ان أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب ، فقال : هو فجور . وسئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال : أذننى ما يكون فيها ان اللاعب بها يعرض يوم القيامة أو قال يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل . وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج ، فقال : هي أشمر من الرد وتقدم الكلام عن تحريمه . وسئل الامام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال : الشطرنج من الرد . بلغنا عن ابن عباس انه ولي مالاً ليتيم فوجدها في تركة والده اليتيم فأحرقها . ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم ، ولكن لما كان اللعب بها حراماً أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت اراقته كذلك الشطرنج . وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه . وقيل لابراهيم النخعي : ما تقول في اللعب بالشطرنج ؟ فقال : انها ملعونة .

وروى^(١) ابو بكر الأثرم في جامعه عن وائلة بن الاسقع عن رسول الله ﷺ قال : ان لله في كل يوم ثلثائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب - يعني لأعب الشطرنج لأنه يقول شاه مات . وروى ابو بكر الاجري باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام والرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم ، فانهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان يحنوده فأحذق بهم ، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان يحنوده ، فلا يزالون يلعبون حتى

(١) احمد بن محمد بن هاني ابو بكر الأثرم البغدادي صاحب الامام احمد المتوفى سنة ٨٢٧٤

يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ،
ولأنهم يكذبون عليها فيقولون : شاه مات . وروي عنه عليه السلام انه قال ^(١) أشد
الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه يعني صاحب الشطرنج ، ألا تراه يقول :
قتلته ، والله مات ، والله افترى ، وكذب على الله .

وقال مجاهد : ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم
فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقبل له : قل لا إله إلا الله فقال :
شاهك ثم مات ، فقلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب ، فقال
عوض كلمة الاخلاص : شاهك . وهذا كما جاء في انسان آخر ممن كان يجالس
شراب الخمر انه حين حضره الموت فجاءه انسان يلقنه الشهادة فقال له : اشرب
واسقني ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهذا كما جاء في حديث
مروي : يموت كل انسان على ما عاش عليه ويبعث ^(٢) على ما مات عليه . فنسأل
الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين
انه جواد كريم .

(١) قال المنذري في التهذيب : وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث لا أعلم لشيء منها
استناداً صحيحاً ولا حسناً والله أعلم .

(٢) روى مسلم آخر ، بلفظ « يبعث كل عبد على ما مات عليه » ذكره في أسنى الطالب

الكبيرة المحادية والعشرون قذف المحصنات

قال الله تعالى : (إن الذين يرُمونَ المحصناتَ الفاضلاتِ المؤمناتِ لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذابٌ عظيمٌ . يومَ تشهدُ عليهم السنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون) .
وقال الله تعالى : (والذين يرُمونَ المحصناتِ ثم لم يأتوا بربعةِ شهاداءَ فأجلدوهم ثمانينَ جلدةً ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً وأولئك هم الفاسقون)

بين الله تعالى في الآية ان من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة انه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم ، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وان كان عدلا . وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها قذف المحصنات الفاضلات المؤمنات والقذف ان يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية ، أو يا باغية ، أو يا قعبة . أو يقول لزوجها : يا زوج القعبة ، أو يقول لولدها : يا ولد الزانية أو يا ابن القعبة . أو يقول لبنتها يا بنت الزانية أو يا بنت القعبة . فان القعبة عبارة عن الزانية ، فاذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يا زاني ، أو قال لصبي حريا علق ، أو يا منكوح ، وجب عليه الحد ثمانون جلدة ، إلا أن يقيم بينة بذلك ، والبينة كما قال الله : أربعة شهاداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل ، فان لم يقيم بينة جلد اذا طالبتة بذلك التي قذفها أو اذا طالبه بذلك الذي قذفه ، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريتته بأن قال لمملوكه : يا زاني أو لجاريتته يا زانية أو يا باغية أو يا قعبة ، لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قلل : « من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال . » وكثير من

الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال: « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل^(١) بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » . فقال له معاذ ابن جبل : يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما تتكلم به ؟ فقال : « شكلك^(٢) امك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم ؟ » وفي الحديث^(٣) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . وقال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقال عقبه بن عامر^(٤) : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابسك على خطيئتك » وان أبعد الناس إلى الله القلب القاسي .

وقال ﷺ^(٥) : ان ابغض الناس إلى الله الفاحش للبدني الذي يتكلم بالفحش وردىء الكلام ، وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بئنه وكرمه انه جواد كريم^(٦) .

(١) يزل : يهوى .

(٢) أي فقدتك ولا يقصد معناه وإنما يجري على لسانهم عفواً .

(٣) رواه البخاري ومسلم في ضمن حديث أكرام الشيف والتهبي عن أنس الجار(النذري).

(٤) رواه ابو داود والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر

عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي أمامة عنه .

(٥) في منناه حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً : أياكم والفحش فسان الله لا يجب للفحش

ولا التفحش رواه النسائي في سننه الكبرى في التفسير منها ، والحاكم وصححه ، وكذلك

حديثه « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها » رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم ، وحديث ابن

مسعود مرفوعاً « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي » رواه الترمذي

بإسناد صحيح (العراقي) .

(٦) (قائدة) قال المؤلف في الصغرى : وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

بعد نزول برأئها من السماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفراً .

الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة

وهي من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ الْخَائِنِينَ) وقال الله تعالى (وَمَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعضمه وعظم أمره ، ثم قال لا ألفين^(١) أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته يعير له رغاء^(٢) يقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة^(٣) فيقول : يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء^(٤) يقول : يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح ، فيقول : يا رسول الله اغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاغ يخفق ، فيقول : يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يا رسول الله اغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتكَ . أخرج هذا الحديث مسلم^(٥) .

(قوله) : على رقبته رقاغ تخفق - أي ثياب وقماش ، (قوله) : على

(١) أي لا اجدت .

(٢) الرغاء : صوت البعير .

(٣) الحممة : صوت الفرس .

(٤) الثغاء : صوت الشاة .

(٥) بمعنى بها اللفظ والافتقار عزاء في التبرغيب للبخاري أيضاً ، وقال : واللفظ لمسلم .

رقبته صامت - أي من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال بغير إذن الامام ، أو من الزكاة التي تجتمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته ، كما ذكر الله تعالى في القرآن (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) .

ولقول النبي ﷺ : « أدوا الخيط والخيط وإياكم والغلول بأنه عار على صاحب يوم القيامة » ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن التبية على الصدقة وقدم ، وقال : هذا لكم وهذا أهدي لي . فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال : « والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله ، فلا أعرف رجلاً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يده ﷺ فقال : اللهم هل بلغت ؟ » (١) .

وعن أبي هريرة (٢) قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغم ذهباً ولا ورقاً ، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي (يعني وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بني جذام (يدعى رفاعه بن يزيد من بني الضبيب) ، فلما نزلنا (الوادي) قام عبد رسول الله ﷺ يحمل رحله ، فرمي بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله : كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً ، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم . قال ففرغ الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال : أصبت يوم خيبر) . فقال رسول الله

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي حميد الساعدي ، الخوار : صوت البقر ، واليعار صوت الغنم (مندري) .

(٢) وكذا رواه أبو داود والنسائي والزيادات بين قوسين أثناء الحديث في لفظ الحديث في (الترغيب والترهيب) لم تكن في الأصل وقد كان فيه بسين لفظي ذهباً وورقاً كلمة فضة حلفناها لعدم وجودها في لفظ الحديث في الترغيب ، ولأنها تكرار لفظ ورقساً . والشمة - كما قال المندري - كساء أصفر من القطيفة يتشح به .

شراك أو شراكا كان من نار متفق عليه^(١) . وعن عبد الله بن عمرو^(٢) رضي الله عنها قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة لعات ، فقال النبي ﷺ : هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عبادة قد غلها . وعن زيد ابن خالد الجهني ان رجلا غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه ، وقال : ان صاحبكم غل في سبيل الله . قال ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرز آمن خرز اليهود مايساوي درهمين . قال الامام احمد رحمه الله : ما نعلم ان النبي ﷺ امتنع من الصلاة على أحد الا على الغال ، وقاتل نفسه . وجاء عن^(٣) النبي ﷺ انه قال : « هدايا المال غلول » .

وفي الباب أحاديث كثيرة ويأتي بعضها في باب الظلم والظلم على ثلاثة أقسام : (أحدها) أكل المال بالباطل ، (وثانيها) - ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح ، (وثالثها) - ظلم العباد بالشم واللعن والسب والقذف ، وقد خطب النبي ﷺ بنى فقال : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » متفق عليه .

وقال^(٤) النبي ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » . ففسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

-
- (١) رواه مالك واحمد وابو داود والنسائي وابن ماجه بنحو مما هنا (المنفري) .
(٢) رواه البخاري مسن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، وكان في الاصل ابن عمرو غلطاً فصححناه (عمرو) ، والثقل - محرقة الفتيمة ، وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما (النذري)
(٣) رواه احمد وابن ماجه من حديث ابي حميد الساعدي وله شواهد من حديث حذيفة رابن عباس وجابر (كشف الحفاء) .
(٤) رواه مسلم من حديث ابن عمر (مشكاة) .

الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة

قال الله تعالى : (السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً
بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس ، والله عزير في
إنتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده .

وقال (١) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق
حين يسرق وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة » .

وعن ابن عمر (٢) رضي الله عنها ان النبي ﷺ قطع في بجن قيمته ثلاثة دراهم ،
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في
ربع دينار فصاعداً . وفي رواية (٣) قال رسول الله ﷺ : « لا تقطع يد السارق
فيما دون ثمن الجهن » . قيل لعائشة رضي الله عنها : وما ثمن الجهن ؟ قالت : ربع
دينار . وفي رواية (٤) قال : اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك .
« كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما » .

وعن ابي هريرة (٥) رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لمن الله
السارق الذي يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » . قال الأعشى
كانوا يرون انه بيض الحديد ، والحبل كانوا يرون ان منها ما يساوي ثمنه ثلاثة
دراهم .

-
- (١) تقدم عزوه فيما تقدم في الكبيرة العاشرة .
 - (٢) متفق عليه كما في المشكاة وبلوغ المرام .
 - (٣) متفق عليه .
 - (٤) هي لفظ مسلم كما في بلوغ المرام .
 - (٥) لفظ رواية احمد .
 - (٦) متفق عليه كما في المشكاة .

وعن^(١) عائشة رضي الله عنها قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتجده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فسلموه فيها فكلم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى ، ثم قام النبي ﷺ خطيباً فقال : « انا أهلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية .

وعن عبد الرحمن^(٢) بن جرير قال : «ألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يده السارق في عنقه أمن السنة ؟ قال : أتى النبي ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت في عنقه . قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه ، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال ، والله أعلم .

الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق

قال الله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْقَوَا مِنَ الْأَرْضِ . ذَلِكَ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

(١) متفق عليه واللفظ لاسم كما في المشكاة .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه كذا في المشكاة .

قال الواحدي^(١) رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونها ولا يطيعونها . كل من عصاك فهو محارب لك ، ويسعون في الأرض فساداً أي بالقتل والسرقة وأخذ الأموال ، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي . (قوله تعالى) : أن يقتلوا إلى قوله أو ينفوا من الأرض قال الوالي^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنها (أو) ادخلت للتخيير ومعناها الإباحة ، ان شاء الامام قتل ، وان شاء صلب ، وان شاء نفي ، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد ، وقال في رواية عطية^(٣) أو ليست للإباحة ، انما هي مرتبة للحكم باختلاف الجنایات . فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب . ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ، ومن اخاف السبيل ولم يقتل نفي من الأرض ، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقال الشافعي أيضاً : يحد كل واحد بقدر فعله . فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل ، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه ، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت ، فان عاد وسرق ثانياً قطعت رجله اليسرى ، فان عاد وسرق قطعت يده اليسرى ، لما روى^(٤) عن النبي ﷺ قال في السارق : ان سرق فاقطعوا يده ، ثم ان سرق فاقطعوا رجله ، ثم ان سرق فاقطعوا يده ، ثم ان سرق فاقطعوا

(١) هو ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي بن متويه بفتح الميم وتشديد التاء المثناة صاحب التفسير المشهورة « البسيط والوسيط والرجيز » وأسباب نزول القرآن ، والتخيير في شرح اسماء الله الحسنى ، وشرح ديوان ابي الطيب المتنبى شرحاً مستوفى ليس في شروحه على كثرتها مثله ، وذكر فيه اشياء غريبة . وكان الواحدي تلميذ ابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي المنسري المشهور وانه أخذ علم التفسير وأربى عليه ، توفي سنة ٤٦٨ هـ في جمادى الآخرة (ابن خلكان) .
(٢) يعني علي بن ابي طلحة الوالي رواية تفسير ابن عباس ، وان كانت في جماعه منه كلام راجع رجته في الميزان للنهي .

(٣) يعني ابن سعد العوفي ، مختلف في توثيقه صدوق بخطه كثيراً وكان يدلس «التقريب» .
(٤) رواه ابو داود والنسائي من حديث جابر واستنكره وأخرجه من حديث الحارث ابي عاصم نحوه ، وذكر الشافعي ان القتل في الخامسة منسوخ (بلوغ الرام) .

رجله . ولأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا يخالف لهما من الصحابة ،
ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى
وذلك معنى قوله تعالى « من خلاف » .

وقوله تعالى : (أو ينفوا من الأرض) . قال ابن عباس : هو ان يهدر الامام
دمه فيقول من لقيه فليقتله ، هذا فيمن يقدر عليه ، فأما من قبض عليه فنفيه من
الأرض الحبس والسجن ، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفي منها
انشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعراً :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجائب يوماً لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال : فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف
إذا أخذ المال أو جرح أو قتل ؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك
الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواط وغير ذلك . نسأل الله العافية
من كل بلاء ومحنة ، إنه جواد كريم غفور رحيم .

الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين القموس

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

قال الواحدي : (١) نزلت في رجلين اختصبا إلى النبي ﷺ في ضيعة ، فهم المدعي عليه ان يحلف ، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعي عليه عن اليمين وأقر للدعي بحقه . وعن عبد الله (٢) قال : قال رسول الله ﷺ : من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان . فقال الأشعث : في " والله نزلت ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فبجعتني ، فقدمته إلى النبي ﷺ ، فقال : ألك بينة ؟ قلت : لا ، قال لليهودي : احلف . قلت : يا رسول الله انه اذن يحلف فيذهب بمالي . فأنزل الله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) أي عرضاً يسيراً من الدنيا وهو ما يملفون عليه كاذبين (اولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب لهم في الآخرة (ولا يكلمهم الله) أي بكلام يبرم (ولا ينظر إليهم) نظراً يبرم ، يعني نظر الرحمة (ولا يزكّيهم) ولا يزيدهم خيراً ولا يثني عليهم .

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ه من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان . قال عبد الله . ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) إلى آخر الآية اخرجاه في الصحيحين . وعن أبي امامة قال :

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه مختصراً وتفسير الآية في آخر .

الحديث من صحيح المؤلف .

كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال رجل : وان كان يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وان كان قضيماً من أراك » أخرجه مسلم^(١) في صحيحه . قال حفص بن ميسرة : ما أشد هذا الحديث . فقال : أليس في كتاب الله تعالى : (ان الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً) ؟ الآية . وعن أبي ذر^(٢) عن النبي ﷺ قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم وهم عذاب أليم . فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا يا رسول الله من هم ؟ قال : « المسبل ، والمنان ، والمتفق سلمته بالخلف الكاذب » . وقال ﷺ : « الكبائر الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس » أخرجه البخاري^(٣) في صحيحه والغموس هي التي يتعمد الكذب فيها ، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الاثم ، وقيل تغمسه في النار^(٤) .

(فصل) : ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكمبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة ، وهي من أشد ما هنا ، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربية فلان .

عن ابن عمر^(٥) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن الله ينهاكم أن تجلفوا بآبائكم ، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت » . وفي رواية في الصحيح « فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت » .

-
- (٢) النسائي وابن ماجه ومالك كلهم من حديث ابي امامة ابي بن ثعلبة الحارثي (منذري)
(٣) رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .
(٤) الترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وقد تقدم مراراً .
(٥) عبارة المنذري : تغمس الحالف بها في الاثم في الدنيا وفي النار في الآخرة وهي احسن ما هنا من جعلها قرلين فيها .
(٥) رواه مالك ، والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (المنذري) .

وعن^(١) عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم » رواه مسلم . الطواغي : جمع طاغية وهي
الأصنام ، ومنه الحديث : هذه طاغية دوس أي صنمهم ومعبودهم . وعن بريدة
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا » رواه
ابو داود وغيره ، وعنه رضي الله عنه^(٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « من
حلف فقال اني بريء من الاسلام ، فان كان كاذباً فهو كما قال ، وان كان صادقاً
فلن يرجع إلى الاسلام سالماً » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رجلاً يقول : والكعبة ، فقال : « لا
تحلف بغير الله » ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد
كفر وأشرك » . رواه الترمذي وحسنه ابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال :
صحيح على شرطهم^(٣) . قال : وفسر بعض العلماء قوله « كفر أو أشرك » على
التفليظ كما روي عن النبي ﷺ انه قال : « الرياء شرك » :

وقال^(٤) ﷺ : من حلف فقال في حلفه واللات والغزى فليقل لا إله إلا الله ،
وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل اسلامه ، فربما سبق
لسانه إلى الحلف بها فأمره النبي ﷺ أن يسادر بقول : لا إله إلا الله ليكفر
بذلك ما سبق إلى لسانه ، وبالله التوفيق .

(١) في الاصل ابو عبد الرحمن وهو غلط وانما هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب من مسلمي
الفتح ، افتتح سجستان ، روى له الستة ، سكن البصرة ، مات بعد سنة . هـ (التقريب) .
(٢) أي عن بريدة رواه ابو دارد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطها .
(٣) وسكت على ذلك المنذري في برغييه لكن قال المصنف في الصغرى . اسناده على شرط
مسلم ، وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعي عن سعد بن عبيدة .
(٤) قال في الصغرى : متفق عليه يعني رواه البخاري ومسلم .

الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم

بأكل أموال الناس وأخذها ظلماً وظلم الناس بالضرب والشم والتعدي والاستطالة على الضعفاء .

قال الله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَافِيًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتُمْ هَوَاءً . وَأَنْذَرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ . فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبُ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعَ الرَّسُولَ . أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ . وَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ . وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) وقال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) وقال تعالى : (وَمَيَعَمَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .

وقال ﷺ (١) ان الله ليأخذ للظالم حتى اذا أخذته لم يفلقه . ثم قرأ رسول الله ﷺ :

(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة . ان أخذته ألم شديد) .

وقال ﷺ (٢) : من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابي موسى الأشعري (المنذري) .

(٢) رواه البخاري والترمذي من حديث ابي هريرة (المنذري) .

اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

وقال عليه السلام ^(١) عن ربه تبارك وتعالى : انه قال : « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » . وقال ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ، فيأتي وقد شتم هذا ، وأخذ مال هذا ، ونبش عن عرض هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا . فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار . وهذه الأحاديث كلها في الصحاح ^(٣) وتقدم حديث : « إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وتقدم قوله ^(٤) لماذ حين بعثه الى اليمن : « واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » ^(٥) . وفي الصحيح : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » .

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري وأنشد بعضهم :

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرأ فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تسام عيناك والمظلوم متببه يدعو عليك وعين الله لم تم
وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء ، وقال

(١) رواه مسلم والترمذي وهو من حديث أبي ذر الطويل .

(٢) رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة .

(٣) تقدم في القهار رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث طويل عن ابن عباس .

(٥) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وشواهد كثيرة (المنذري) .

أبو هريرة رضي الله عنه : ان الجباري لتموت في وكرها هزالأ من ظلم الظالم وقيل مكتوب في التوراة: ينادي مناد من وراء الجسر - يعني الصراط - يا معشر الجبابرة الطغاة ، ويا معشر المترفين الأشقياء ان الله يحلف بعزته وجلاله ان لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم . عن جابر^(١) قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال : ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ فقال فتية كانوا منهم : بلى يا رسول الله بينا نحن يوماً جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها . فلما قامت التفتت إليه ثم قالت : سؤف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون . سوف تعلم من أمري وأمرك عنده غداً . قال فقال رسول الله ﷺ : « صدقت كيف يقدر الله قوماً لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم » ؟

إذا ما الظالم استوطأ الظلم مركبا ولج عتواً في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له ما لم يكن في حسابه

وروي عن النبي ﷺ انه قال : « خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والا أمر بهم في الآخرة إلى النار : أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجراء فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ، ورجل ظلم امرأة صداقها » .

وعن عبدالله بن سلام قال : ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم

(١) عزاء المرفوع منه في الجامع الصغير إلى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وصححه . وذكر شامداً له من حديث بريدة عند ابى يعلى والبيهقي وعلم عليه بالصحة أيضاً .

رفعوا رؤوسهم الى السماء ، وقالوا : يا رب مع من أنت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه . وعن وهب بن منبه قال : بني جبار من الجبابرة قصراً وشيده ، فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه كوخاً تأوي اليه ، فركب الجبار يوماً وطاف حول القصر ، فرأى الكوخ فقال : لمن هذا ؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوي اليه فأمر به فهدم ، فجاءت العجوز قرأته مهدوماً فقالت : من هدمه ؟ فقيل : الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها الى السماء ، وقالت : يا رب اذالم أكن انا حاضرة فأين كنت أنت ؟ قال : فأمر الله جبريل ان يقلب القصر على من فيه فعنبه . وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال : يا أبتى بعد المز صرنا في القيد والحبس . فقال : يا بني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ، وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحداً قط هبتي رجلاً ظلمته ، وأنا أعلم انه لا ناصر له إلا الله يقول لي : حسي الله ، الله بيني وبينك .

وحبس الرشيد أبا المتاهية الشاعر فكتب اليه من السجن هذين البيتين شعراً .
 أما والله ان الظلم شوم وما زال المسيء هو المظلوم
 ستعلم يا ظلوم اذا التقينا غداً عند المليك من المعلوم
 وعن ^(١) ابي امامة قال : يحيى الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به ، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الى الدرك الأسفل من النار .
 وعن ^(٢) عبدالله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر المباد

(١) رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي امامة مرغوعاً ورواه مختلف في توثيقهم (الندري) .
 (٢) رواه أحمد بإسناد حسن (الندري) وعزاه ابن القيم في صواعقه الى ابي يعلى المرصلي في مسنده والبخاري في الأدب المفرد والفضيلة في اختارة والطبراني في المعجم وألسنة وغيرهم وحسن اسناده وهو من رواية همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبدالله بن محمد بن عجيل عن جابر في رسالته الى الشام الى عبدالله بن أنيس فذكره وعلقه البخاري في أول صحيحه مجزوماً به وفي آخره بلفظ ويذكر عن جابر الخ .

يوم القيامة حفاة عراة غرلاً يناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، انا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة أو أحد من أهل النار ان يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً . قلنا : يا رسول الله كيف وإنما تأتي حفاة عراة . فقال : بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحداً . وجاء عن (١) النبي ﷺ انه قال من ضرب سوطاً ظمناً اقتص منه يوم القيامة ومما ذكر ان كسرى اتخذ مؤدباً لولده يطمه ويؤدبه حتى اذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديداً من غير جرم ولا سبب ، فحقد الولد على المعلم الى ان كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضرباً وجيماً من غير جرم ولا سبب ، فقال المعلم : اعلم ايها الملك انك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك ، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحداً ، فقال : جزاك الله خيراً ثم أمر له بجائزة وصرفه .

ومن الظلم أخذ مال اليتيم ، وتقدم (٢) حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله : واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .

وفي رواية (٣) ان دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين وأنشدوا شعراً :

توق دعا المظلوم ان دعاه	ليرفع فوق السحاب ثم يحاب
توق دعا من ليس بين دعائه	وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسب الله مطرحاً له	ولا أنه يخفى عليه خطاب

(١) وراه البزار والطبراني بإسناد حسن من حديث ابي هريرة (المنذري) .

(٢) تقدم قريباً أنه رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن عباس .

(٣) رواها احمد في حديث لابي هريرة والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن خزيمة

وابن حبان في صحيحهما (المنذري) .

فقد صح ان الله قال وعزتي
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه
لأنصر المظلوم وهو مثاب
جهول وإلا عقسه فمصاب

(فصل) : ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت
في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « مظل الغني ظمه » وفي رواية « لي
الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » أي يحل شكايته وحبسه .

(فصل) : ومن الظلم ان يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو
داخل في قوله ﷺ « لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة
فينادي به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت
إلى حقه . قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها
ثم قرأ : (فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) . قال : فيغفر الله من حقه
ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى
لاصحاب الحقوق : اتنوا إلى حقوقكم . قال فيقول الله تعالى للملائكة : خذوا
من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته ، فان كان ولياً لله
وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وان كان عبداً
شقيماً ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة : ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه ،
فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ، ثم صكك إلى النار .
ويؤيد ذلك ما تقدم^(١) من قول النبي ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ فذكر ان
المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا
وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته ،
فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم
طرح في النار » .

(١) تقدم قريباً رواه مسلم والترمذي من حديث ابي هريرة .

(فصل) ومن الظلم ان يستأجر أجيراً أو انساناً في عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت في صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل اعطى بي غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته » . وكذلك اذا ظلم يهودياً أو نصرانياً أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى : أنا حبيبه - أو قال أنا خصمه - يوم القيامة . ومن ذلك ان يحلف على دين في ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . قيل : يا رسول الله وان كان شيئاً يسيراً ؟ قال وان قضياً من أراك » .

فخف القصاص غذا اذا وفيت ما	كسبت يدالك اليسوم بالقسطاس
في موقف منا فيه إلا شاخص	أو مهطع أو مقنع للراس
اعضاؤم فيه الشهود وسجنهم	نار وحاكمهم شديد البأس
أن تطل اليوم الحقوق مع الغنى	فقدنا تؤديها مع الافلاس

وقد روي أنه لا أكره للمبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ (١) : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » . وقال ﷺ (٢) : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتبجّل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم . ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار » . وروى عبد الله بن ابي الدنيا بسنده إلى ابي ايوب (٣) الأنصاري ان رسول الله ﷺ قال :

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .
(٢) رواه البخاري والترمذي من حديث ابي هريرة (النذري) .
(٣) الطبراني في مسنده عن عبدالله بن عبد العزيز البجلي وهو ضعيف ، ووثقه سعيد بن منصور وقال : كان مالك يرضاه (مجمع الزوائد) .

« أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن ينادها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولي زوجته من خير أو شر ، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم ، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقهم إلى النار . وكان شريح القاضي يقول : سيعلم الظالمون حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب . وروي انه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط الله عليه من يظلمه ، ودخل طاوس الليثي على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان ، قال هشام : ومنا يوم الأذان؟ قال : قال الله تعالى : (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) . فصق هشام . فقال طاوس : هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة ؟ يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم ، والحق الحاكم ! .

(فصل) : في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعوتهم . قال الله تعالى (ولا تكونوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) والركون ههنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالهبة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تميلوا كل الميل في الهبة ولين الكلام والمودة ، وقال السدي وابن زيد : لا تداهتوا الظلمة ، وقال عكرمة : هو ان يطيمهم ويودهم ، وقال أبو العالية : لا ترضوا بأعمالهم (فتمسكم النار) فيصيبكم لفتحها (وما لكم من دون الله من أولياء) ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله (ثم لا تنصرون) لا تمنعون من عذابه ، وقال الله تعالى : (احشروا الذين ظلموا وازواجهم) أي أشباههم وامثالهم واتباعهم . وعن^(١) ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ سيكون امراء ينشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون ، فمن دخل عليهم

(١) رواه احمد وابو يعلى وابن حبان في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري لا ابن مسعود كما في المنذري فعمل ما هنا من خطأ النسخ .

وصدقهم بكنذيرهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه . . وعنه (١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من أعان ظالماً سلط عليه » ، وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بانكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة » ، وقال مكحول الدمشقي : ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مد لهم حبراً أو حبر لهم دواة أو بري لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم . وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال : اني رجل اخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان بل أنت من الظلمة أنفسهم ، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الأبرة والخيط .

وقد روي عن النبي ﷺ انه قال : « أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الاسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة » وعن ابن عمر رضي الله عنها قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة : أعوان الظلمة .

وقد روي ان الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر بني اسرائيل أن لا يتلوا من ذكري فاني أذكر من ذكري ، وأن ذكري ايام أن العنهم ، وفي رواية فاني اذكر من ذكري منهم باللعنة (٢) . وجاء عن النبي ﷺ انه قال : « لا يقف أحدكم في موقف يُضرب فيه رجل مظلوم فان اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه » .

وروي (٣) عن رسول الله ﷺ انه قال : « أتى رجل في قبره فقيل له : إنا

(١) عزاء السيوطي في جامعه الصغير إلى ابن عساكر عن ابن مسعود وأشار إلى ضعفه .
(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ يقتل فيه رجل ظملاً (ترغيب) .
(٣) رواه الطبراني من حديث ابن عمر وفي سنده يحيى بن عبدالله الباقلي وهو ضعيف قاله في (مجمع الزوائد) وعزاه في (الترغيب) إلى كتاب (التوبيخ) لابي الشيخ ابن حبان وأشار لضعفه .

ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع اليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه ،
فالتهب القبر عليه ناراً فقال : لم ضربتموني هذه الضربة ؟ فقالوا : انك صليت
صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره . فهذا حال من لم ينصر
المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم !؟

وقد ثبت في الصحيحين (١) عن رسول الله ﷺ انه قال : « انصر أخاك
ظالماً أو مظلوماً ، فقال يا رسول الله : أنصره اذا كان مظلوماً فكيف أنصره اذا
كان ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم فان ذلك نصره . »

ومما حكي قال بعض العارفين : رأيت في المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة
والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة فقلت له ما حالك ؟ قال : شر حال ،
فقلت : الى أين صرت ؟ قال : الى عذاب الله . قلت : فما حال الظلمة عنده ؟
قال شر حال ، أما سمعت قول الله عز وجل : (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون) ومما حكي قال بعضهم رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي
من رأني فلا يظلمن أحداً فتقدمت اليه ، فقلت له : يا أخي ما قصتك ؟ قال :
يا أخي قصة عجيبة ، وذلك اني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوماً صياداً وقد
اصطاد سمكة كبيرة فأعجبني ، فجئت اليه فقلت : أعطني هذه السمكة ،
فقال : لا أعطيكمها أنا آخذ بثمنها قوتاً لعيالي ، فضربت وأخذتها منه قهراً
ومضيت بها . قال : فبينما أنا أمشي بها حاملها إذ عضت على إبهامي عضه قوية
فلما جئت بها الى بيتي وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألماً شديداً
حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدي ، فلما أصبحت أتيت الطبيب
وشكوت اليه الألم ، فقال : هذه بدء الأكلة أقطعها وإلا تقطع يدك ، فقطعت
إبهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم ، فقبيل لي :
إقطع كفك فقطمته ، وانتشر الألم الى الساعد وآلمتني ألماً شديداً ، ولم أطق
القرار ، وجعلت أستغيث من شدة الألم : فقبيل لي : اقطعها الى المرفق فقطمته ،

(١) البخاري من حديث أنس ومسلم من حديث جابر (التذري) .

فانتشر الألم الى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الأول ، فقيل : اقطع
 يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها . فقال لي بعض الناس : ما
 سبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة ، فقال لي : لو كنت رجعت في أول ما
 أصابك الألم الى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك
 عضواً ، فاذهب الآن اليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم الى بدنك . قال :
 فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته ، فوقعته على رجليه أقبليها وأبكي وقلت له :
 يا سيدي سألتك بالله ألا عفوت عني . فقال لي : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذي
 أخذت منك السمكة غضباً ، وذكرت ما جرى وأريته يدي فبكى حين رآها .
 ثم قال : يا أخي قد أحللتك منها لما قد رأيتك بك من هذا البلاء ، فقلت : يا
 سيدي بالله هل كنت قد دعوت علي لما أخذتها ؟ قال : نعم . قلت : اللهم إن
 هذا تقوى علي بقوته على ضعفي علي ما رزقتني ظمأ فأرني قدرتك فيه . فقلت :
 يا سيدي قد أراك الله قدرته في وأنا نائب الى الله عز وجل عما كنت عليه من
 خدمة الظلمة ، ولا عدت أقف لهم على باب ، ولا أكون من أعوانهم ما دمت
 حياً . ان شاء الله ، وبالله التوفيق .

(موعظة) إخواني كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها ، وكم انزل
 أجساداً يجارها لم يجارها ، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها - شعر :

يا معرضاً بوصول عيش ناغم ستصد عنه طائماً أو كارها
 إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحي وغرس الحدائق ، ونال
 الأمانني وركب العواتق ؟ صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه في لهوه
 أقطع طارق ، وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض المفارق ،
 وقلاه الحبيب الذي لم يفارق ، وهجره الصديق والرقيق الصادق ، ونقل من
 جوار المخلوقين الى جوار الخالق . نازله والله الموت فلم يحاشه ، وأذله بالقهر بعد
 عز جاشه ، وأبدله خشن القرب بعد لين فراشه ، ومزقه الدود في قبره كتمزيق

فماش ، وبقي في ضنك شديد من معاشه ، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه .
 ما نفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بسبل ضره من الزاد الاعزاز ،
 وصار والله عبءة للجتاز ، وقطع شاسعاً من السبل الأوفاز ، وبقي رهيناً لا
 يدري أهلك أم فاز . وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ، ودنياك
 لا تصلح وما سمعت ستره غداً على التام ، ويقع لي ولك ، ويحك ! أما يؤثر
 فيك هذا الكلام ؟

العبرة السابعة والعشرون : المكاس

وهو داخل في قول الله تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ
 النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

والمكاس من اكبر أعوان الظلمة ، بل هو من الظلمة أنفسهم . فإنه يأخذ
 ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق ، ولهذا قال النبي ﷺ : « المكاس لا يدخل
 الجنة » . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » رواه أبو داود ، وما
 ذلك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد . ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس
 ما أخذ منهم ؟ إنما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات ! وهو داخل في
 قول النبي ﷺ : « أتدرون من المكس ؟ قالوا : يا رسول الله المكس فينا من
 لا درهم له ولا متاع ، قال : إن المكس من أمي من يأتي بصلاة وزكاة وصيام
 وحج ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من
 حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من
 سيئاته فطرح في النار » .

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة (الترضيب) .

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم : لقد تابت توبة لو تأبها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه ، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص . وجابي المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جنسدي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر آكلون للسحت والحرام ، وصح أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت . النار أولى به » والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدي (١) رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : (قل لا يستوي الخبيث والطيب) . وعن جابر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن المحر كانت تجارتي ، وإني جمعت من بيعها مالاً ، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة . إن الله لا يقبل إلا الطيب ، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) .

قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .

(موعظة) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحدائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأى الملتصق ، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ، أزعجه والله هازم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس ، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس . ينظر :

(١) ذكره في تفسيره الوسيط بلا سند ، وقال السيوطي في «لباب النقول في أسباب النزول» بسند ضعيف .

ثبني وتجمع والآثار تدرس
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع
أين الملوك وأبنساء الملوك ومن
ومن سيوفهم في كل معترك
أضحكوا بمهلكة في وسط معركة

صرعى وصاروا يبطن الارض وانطمسوا
بأواقهم جثث في الرسم قد حبسوا
ومات ذكروهم بين الورى ونسوا
أيدي البلا بهم والدود يفتس
وأبصرت منكراً من دونه البلس
في رونق الحسن منها كيف ينطس
وليس تبقى لهذا وهي تنتس
ما شأنها شأنها بالآفة الخرس
ودمع عينيك لا يهي وينبجس

(موعظة) : يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى الخردلة
ما ينتفع بالندير والتذر متصلة ، ولا يصغي إلى ناصح وقد عدله ، ودروعه مخرقه
والسهام مرسله ، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقا ،
ويرى مصير من قد أمه قد انعكف بعد الشيب على العيب بصباية ووله . كن
كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة . ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله .
فيا عجباً من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن من غرور وبسه . ويحك يا
هذا من استدعاك وفتح منزله فقد اولاك لو علمت منزله . فبادر ما بقي من عمرك
واستدرك أوله . فبقية عمر المؤمن جوهرة قيّمة .

الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان

قال الله عز وجل : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) .

أي لا يأكل بعضكم مال بعض الباطل . قال ابن عباس رضي الله عنهما ، يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين ، أحدهما ان يكون على جهة الظلم نحو النصب والحيانة والسرقة . والثاني على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك ، وفي صحيح البخاري : (١) ان رسول الله ﷺ قال : « ان رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » . وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ : « الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك » وعن (٢) أنس رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله : أدع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال ﷺ : « يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك ، فان الرجل ليرفع اللقمة من الحرام الى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً ، وروى (٣) البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال : « ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب ، فمن اعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالا حراماً فينتق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كانت زاده إلى النار . ان الله لا يحو السيء بالسيء ولكن يحو السيء بالحسن » . وعن (٤) ابن عمر

(١) من حديث خولة الانصارية .

(٢) ذكره (المنذري) من حديث ابن عباس وان الذي طلب دعوة الرسول في اجابة

دعوته هو سعد بن ابي وقاص وعزاه الطبراني .

(٣) عزاه في الترغيب إلى رواية احمد من حديث ابن مسعود وقال قد حسنها بعضهم .

(٤) رواه البيهقي (المنذري) .

رضي الله عنها قال ، قال رسول الله ﷺ : « الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان . وزب متخوض (فيما^(١)) اشتهدت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة ، وجاء عنه ﷺ انه قال : « من لم يبالي من أين اكتسب المال لم يبالي الله من أي باب أدخله النار ، وعن أبي هريرة^(٢) رضي الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم في فيه تراباً خيراً من أن يجعل في فيه حراماً . وقد روي عن يوسف بن اسباط رحمه الله قال : ان الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه ، فان كان مطعمه سوء قال : دعوه يتعب ويجهد فقد كفاكم نفسه . ان اجهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح^(٣) من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذاه بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك؟ وقد روي في حديث ان ملكاً على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة : « من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، الصرف : النسافة ، والعدل : الفريضة . وقال عبد الله المبارك : « لأن أرد درهماً من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة الف ومائة » . وجاء عن النبي ﷺ^(٤) انه قال : « من حج بمال حرام فقال لبيك ، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك » . وروى الامام أحمد في مسنده^(٥) عن رسول الله ﷺ انه قال : « من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » . وقال وهب بن الورد : لو قت قيام

(١) عبارة الترغيب هنكلنا : « في مال الله ورسوله » .

(٢) رواه أحمد ورجال الصريح غير محمد بن أسحاق وقد وثق ، قاله الهيثمي في مجمع و (التذري) استاده جيد .

(٣) يعني صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم قريباً .

(٤) رواه الطبراني من حديث أبي هريرة وفي مسنده سليمان بن داود القيامي ضعيف (مجمع الزوائد) .

(٥) من حديث ابن عمرو في مسنده هاتم لم يعرفه الهيثمي أشار (التذري) إلى ضعفه .

السارية ما نفعلك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام . وقال ابن عباس رضي الله عنها : « لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه » . وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة كمن طهر الثوب بالبول ، والثوب لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال ، وقال عمر رضي الله عنه : « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام » . وعن كعب^(١) بن عجرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام . وعن زيد^(٢) بن أرقم قال : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج - أي قد كاتبه على مال - وكان يجيئة كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فان رضىه أكله والا تركه . قال فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله ، ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت احسن الكهانة ، إلا اني خدعتهم . فقال أبو بكر : أف لك كدت تهلكني ! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : انها لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه . فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضي الله عنه : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها . اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » ، فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة . وقد تقدم قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام » واسناده صحيح . قال العلماء رحمهم الله : ويدخل في هذا الباب : المكاس ، والخائن ، والزغلي ، والسارق ، والبطال ، وآكل الربا وموكله ، وآكل مال اليتيم وشاهد الزور ، ومن استعار شيئاً فجحدته ، وآكل الرشوة ، ومنقص الكيل والوزن ، ومن باع شيئاً فيه عيب ففطاه ، والمقامر ، والساحر ، والمنجم ، والمصور

(١) حديث كعب بن عجرة رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه بلفظ لا يدخل الجنة لحم ردم نبتا على سحت فالنار أولى به ، وما في الكتاب هنا لفظ حديث أبي بكر الصديق رواه أبو يعلى والطبراني في الارسط والبيهقي وبعض اسانيد حسن (المنذري) .
(٢) رواه البخاري من حديث عائشة بدون الزيادة في آخره من شرب الماء الخ ..

والزانية ، والنائحة والعشيرة ، والدلال ، إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ،
وغبر المشتري بالزائد ومن باع حراً فأكل منه .

(فصل) روي^(١) عن رسول الله ﷺ انه قال : يؤتى يوم القيامة - بأناس
معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة ، حتى إذا جبي بهم جعلها الله هباء منثوراً
ثم يقذف بهم في النار . فقيل يا رسول الله : كيف ذلك ؟ قال : كانوا يصلون ،
ويصومون ، ويزكون ، ويحجون ، غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام
أخذوه فأحبط الله أعمالهم . وعن بعض الصالحين انه رؤي بعد موته في المنام
فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير اني محبوس عن الجنة بإبرة
استعرتها فلم أردما . ففسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى
انه جواد كريم رؤوف رحيم .

(موعظة) عباد الله اما الليالي والأيام تهدم الاجال؟ اما مآل المقيم في الدنيا
إلى الزوال ، اما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال ، اما غاية السلامة نقصان الكمال
أما بعد استقرار المنى هجوم الاجال ، أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال
اما بانتم لكم العبر وضررت لكم الامثال ؟

وعزير ناعم ذل له	كل صعب المرتقى وعمر المرام
فكساه بعد لين ملبس	خشنا بالرغم منه في الرغام
ووجسوه فاضرات بدلت	بعد لون الحسن لونا كالقتام
وشموس طالعات أقلت	بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامخ بنيانه	لين الاعطاف مهتز القوام
أف للدنيا فما شيمتها	غير نقض العقد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا	صالحاً من قبل تقويض الخيام

(١) رواء الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي من حديث طويل في سننه كلثوم بن زياد
ريكون بن سهل الدمياطي وكلاهما روى وفيه ضعف وبقيت رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد) .

يا متعلقاً بزخرف يروق بقساؤه كملح البروق ، يا مضيعاً في الهوى واجبات
الحقوق ، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق ؟ يا مؤثراً أعلى العلالى ساتراً ذلك
الفسوق ، ألا سترى ذلك الفسوق ! يا متولها مهاد الهوى وهو في سجن الردى
مرموق ، إيبك على نفسك العليلة فانك بالبكاء محقوق ، عجبا لمن رأى فعل الموت
لصحبه ، وأيقن بتلفه وما قضى لمحبه ، وسكن الايمان بالآخرة في قلبه ، وتام
غافلاً على جنبه ، ونسي جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض إلى ربه من الهوى عن
ربه ، كأنني به وقد سقي كأس حمى يستغيث من شربه ، وأفرده الموت عن
أهله وسربه ، ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبته . فياذا اللب جز على قسبره
وعج^(١) به . لقد خرقت المواعظ السامع وما أراه انتفع به السامع ، لقد بدا
نور المطالع لكنه أعمى المطالع ، ولقد بانن العبر بآثار الخير لمن اغتر بالمصارغ .
فما بالها لا تسكب المدامع ؟ يا عجبا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد
نشبت فيه مخالب المطامع . يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر
براجع ؟ انتبه لما بقي وانته ورائع ، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق
شاسع ، ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع .

(١) أي أكثر وأهم به .

الكبيرة التاسعة والعشرون : ان يقتل الانسان نفسه

قال الله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) .

قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ولا تقتلوا أنفسكم ، أي لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد ، فأنتم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والاكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الانسان نفسه ، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا ابو منصور محمد بن محمد المنصوري بإسناده عن عمرو^(١) بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة وانا في غزوة ذات السلاسل ، فاشفقت ان اغتسلت ان أهلك ، فتيممت فصليت بأصحابي الصبح ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : يا عمرو صليت بأصحابك وانت جنب ؟ فأخبرته الذي منعتني من الاغتسال فقلت اني سمعت الله يقول : (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) . فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئاً . فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ . قوله (ومن يفعل ذلك) كان ابن عباس يقول : الاشارة تعود إلى كل ما نهي عنه من أول السورة إلى هذا الموضع وقال قوم الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة ، وقوله تعالى : (عدواناً وظلماً) مع العدوان ان يمدوا ما أمر الله به (وكان ذلك على الله يسيراً) أي انه قادر على ايقاع ما توعد به من ادخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال : كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكيناً فحذ بهأيده فما رقأ الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرني عبدي

(١) رواه أبو داره ، وقال المنذري في مختصره : حسن .

بنفسه حرمت عليه الجنة . مخرج في الصحيحين . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها ابداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها ابداً ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالداً فيها ابداً ، مخرج في الصحيحين . وفي حديث (١) ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : « لمن المؤمن كفتله ، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كفتله ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة . وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمه الجراح فاستعجل الموت ، فقتل نفسه بنذاب سيفه فقال رسول الله ﷺ : هو من أهل النار . فنسأل الله ان يلهمنا رشدنا ، وان يميذننا من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، انه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) ابن آدم كيف تظن اعمالك مشيدة ، وانت تعلم انها مكيدة ؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ؟ وكيف تقصر في زادك وقد تحققت ان الطريق بعيدة ؟ يا معرضاً عنا الى متى هذا الجفا والاعراض ؟ يا غافلاً عن الموت والعمر لا شك في انقراض . يا مغترأ في أمه وايدي المنايا في أجله تقرضه بمقراض ، يا مغروراً بصحته وبدنه كل يوم في انتقاض ، يا من يقني كل يوم بعضه ستفنى والله الابعاض . يا غافلاً عن الزاد وقد أذره بعد السواد البياض ، يا قليل الاحتراس ونبيل المنايا طولال عراض . يا من يساق الى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، يا ضاحكاً وعيون الفنا غير غماض لمن هذه الاوقات بين يديه كيف يقدر . جفنه على الأغماض !

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي باختصار ، والترمذي صححه ، وهذا لفظ الترمذي .

الكبيرة الشاذون : الكذب في غالب اقواله

قال الله تعالى : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ، وقال الله تعالى : (قَتِيلَ الْخَرَّأُصُونَ) أي الكاذبون ، وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » . وفي الصحيحين^(١) أيضاً أنه ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » . وقال^(٢) عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا عامد غدر ، وإذا خاصم فجر » . وفي صحيح البخاري^(٣) في حديث منام النبي ﷺ قال : فأتينا على رجل مضطجع لقفاه ، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه ، ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول ، فارجع إليه حتى يصح مثل ما كان ، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة . فقلت لها : « من هذا ؟ فقالت : إنه كان يفتدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق » ، وقال^(٤) ﷺ : « يطبع

(١) من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٣) من حديث سمرة بن جندب مطولاً .

(٤) رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند منقطع بلفظ « يطبع المؤمن على الخلال كلها » .

الفتح ، وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار وأبي يعلى بسند رجاله رجال الصحيح ، ولكن رجح الدارقطني وقفه (الترغيب) .

المؤمن على كل شيء ليست الحياة والكذب . وفي الحديث (١) : « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » . وقال ﷺ (٢) : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر » . العائل : الفقير . وقال ﷺ (٣) : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب . ويل له ، ويل له ، ويل له » . وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله : (ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون) . وفي الصحيح (٤) ان رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ما يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فان أعطاه منها وفي له وان لم يعطه لم يف له » . وقال (٥) ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وانت له به كاذب » ، وفي الحديث (٦) أيضاً : « من تحمل بجم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين وليس بعاقب » ، وقال (٧) رسول الله ﷺ : (فرى القرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا) معناه أن يقول : رأيت في

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة (مشكاة) .

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة (ترغيب) .

(٣) رواه أحمد من حديث الثوراني بن سمعان وشيخ أحمد فيه عمر ابن هريرة . خلاف (الترغيب) .

(٤) رواه دلوذ والترمذي وحسنه أبو دارد والنسائي والبيهقي من حديث يزيد بن حكيم عن أبيه عن جده (ترغيب) .

(٥) رواه الجماعة الا الترمذي كلهم من حديث أبي هريرة .

(٦) رواه البخاري من حديث .

(٧) رواه البخاري من حديث ابن عمر (مشكاة) .

منامي كيت و كيت ولم يكن رأى شيئاً . وقال^(١) ابن مسعود رضي الله عنه :
لا يزال المبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء ، حتى
يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين .

فينبغي للمسلم ان يحفظ لسانه عن الكلام ، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة .
فان في السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء . وفي صحيح البخاري عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليقل خيراً أو ليصمت » . فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في انه
لا ينبغي للانسان أن يتكلم إلا اذا كان الكلام خيراً وهو الذي ظهرت مصلحته
للتكلم ، قال^(٢) ابو موسى قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل ؟ قال : من
سلم المسلمون من لسانه ويده . وفي الصحيحين^(٣) : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة
ما يتبين فيها - أي ما يفكر فيها بانها حرام - يزل بها في النار أبعد مما بين
المشرق والمغرب » . وفي موطأ الامام^(٤) مالك من رواية بلال بن الحارث المزني
ان رسول الله ﷺ قال : (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما
كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وان
الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب
الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه) والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيها
اشرنا اليه كفاية . وسئل بعضهم : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال :
هي أكثر من ان تحصى ، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ، ووجدت خصلة

(١) ذكره مالك في موطئه بلاغاً (ترغيب) قال وقد تقدم بنحوه متصلاً مرفوعاً .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي قاله (المنذري) في (الترغيب) . واهو
موسى هو الاشعري اسمه عبدالله بن قيس .

(٣) من حديث أبي هريرة ورواه النسائي ايضاً (الترغيب) .

(٤) وكذا رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح ، والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم
وقال صحيح الاسناد (ترغيب) .

ان استعملها سترت العيوب كلها ، وهي حفظ اللسان . جنبنا الله معاصيه
واستعملناه فيما يرضيه انه جواد كريم .

(موعظة) ايها العبد : لا شيء أعز عليك من عمرك وانت تضيعه ، ولا
عدو لك كالشيطان وانت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وانت تصافيه ،
ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وانت تسرف فيها . لقد مضى من عمرك الاطيب
فما بقي بعد شيب الذوائب ؟ يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتمع العيب
الشيب من جملة المصائب . يمضي زمن الصبا وحب الجباب . كفى زاجراً واعظاً
تشيّب منه الذوائب . يا غافلاً فانه أفضل المناقب ، أين البكا لحوف العظيم الطالب
أين الزمان الذي ضاع في الملاعب ؟ نظرت فيه آخر العواقب . كم في القيامة مع
دمع ساكب على ذنوب قد حواما كتاب الكاتب ! من لي اذا قمت في موقف
الحاسب وقيل لي : ما صنعت في كل واجب ؟

كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ، إذا اتتك الاماني بظن الكاذب .
الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقي شره بكأس صدور الكتاب . فانظر
لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب . يا آملاً ان تبقى
سليماً من النوائب بنيت بيتاً كنسيح المناكب . أين الذين علوا متون الركائب ،
ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وانت بعد قليل حليف المصائب ، فانظر وتفكر
وتدبر قبل المعاييب .

الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضي السوء

قال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الكَافِرُونَ) . وقال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . وقال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) .

روى الحاكم بإسناده^(١) وفي صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
عن النبي ﷺ انه قال : « لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله » .
وصحح الحاكم^(٢) أيضاً من حديث بريدة رضي الله عنه قال ، قال رسول
الله ﷺ « القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار ، قاض عرف الحق ففضى
به فهو في الجنة ، وقاض عرف الحق فجار متمعداً فهو في النار ، وقاض قضى بغير علم
فهو في النار » . « قالوا فما ذنب الذي يجهل ؟ قال : « ذنبه أن لا يكون قاضياً
حق يعلم » . وعن أبي هريرة^(٣) رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « من جعل
قاضياً فقد ذبح بغير سكين » وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ، ينبغي للقاضي أن
يكون يوماً في القضاء ويوماً في البكاء على نفسه . وقال محمد بن واسع رحمه الله :
أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وعن عائشة^(٤) رضي الله عنها
قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقاضي المعدل يوم القيامة فيلقى

-
- (١) في سننه عبد الله بن محمد المنذري رواه متهم ، وهذا بما أنكر على الحاكم (المنذري)
ولفظه (لا يقبل الله صلاة إمام جائر) ، وقال الذهبي في رسالته الصغرى : بسند لا أرواه .
(٢) ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي حسن غريب (ترغيب)
وقواه المصنف في صفراء .
(٣) ورواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب ، وابن ماجه والحاكم وصححه (ترغيب) .
(٤) ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه (ترغيب) .

من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة . . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان القاضي ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن » . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط ثم تنتشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق ، فان كان عدلاً نجاه الله بعدله ، وان كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً ، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم) . وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء وقال أيوب السخيتاني : (اني وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه) . وقيل للثوري : ان شريحاً قد استقضى ، فقال : أي رجل قد أفسدوه ! ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجمعه على قضاء البصرة فأبى ، فعاوده وقال : لتجلسن ، والاجلدتك . فقال : ان تفعل فانك سلطان ، وان ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة ! وقال وهب بن منبه : اذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك . وكتب عامل من عمال حمص الى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه : أما بعد فان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح . فكتب اليه عمر : حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ، والسلام . قال : ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان واذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة^(١) وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليه أن يعزك نفسه ، ويبادر بالخلاص . فنسأل الله العفو والمافية والتوفيق لما يحب ويرضى ، انه جواد كريم .

(١) في الاساس : زهر الرجل زهرا ساء خلقه وقل غيره .

(موعظة) يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتص يا مائلا الى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ يا مفرطاً في عمره هل بادرت الفرص ؟ يا من اذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاج له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص (١) . عجبا لنفس أمت بالليل هاجعة ، ونسيت أموال يره الواقعة ، ولأن تقرعها المواعظ فتصفي لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة ، وليست له في حال من الأحوال طائفة ، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة ، بعد أن وضعت من الهدى سبيل واسعة ، والمهم شرعت في مشارع الهوى متنازعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضرر التوبة اذا فرغت بزواجر رادعة ، ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة .

الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

أي لا تدلوا بأموالكم الى الحكام ، أي لا تصانعوم بها ولا ترشوم ليقتطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن (٢) أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لمن الله الراشي والمرثي في الحكم » أخرجه الترمذي وقال حديث حسن . وعن عبدالله بن عمرو : لمن رسول الله ﷺ الراشي والمرثي .

(١) القصص ، جمع قصة : يعني الصحف التي فيها الاعمال .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد . والرائش يعني الذي يسمي بينهما (رغيب) .

قال العلماء : فالراشي هو الذي يعطي الرشوة، والمرشي هو الذي يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق ، أما إذا أعطى ليتوصل الى حق له ويدفع عن نفسه ظملاً فإنه غير داخل في اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقاً أو دفع بها ظملاً . وقد روي في حديث آخر : (١) ان اللعنة على الرائش أيضاً وهو الساعي بينها ، وهو تابع للراشي في قصده خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته .

(فصل) : ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : من شفع لرجل شفاعاً فأهدى له عليها مديّة فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدي اليك هدية فتقبلها منه ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى اليه صاحب المظلمة وصيفاً فردها ولم يقبلها ، وقال سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيراً فهو سحت . فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن ان السحت الا الرشوة في الحكم . فقال : ذلك كفر (٢) ، نموذجاً بالله منه ونسأل الله العفو والمغفرة من كل بلاء ومكروه .

(الحكاية) عن الامام ابي عمر الاوزاعي رحمه الله - وكان يسكن ببيروت - ان نصرانياً جاء اليه فقال : ان والي بعلبك ظلمني بمظلمة ، وأريد ان تكتب اليه واتاه بقلة عسل ، فقال الأوزاعي رحمه الله : ان شئت رددت القلة وكتبت لك اليه ، وان شئت أخذت القلة . فكتب له إلى الوالي أن ضع عن هذا النصراني من خراجة . فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالي فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهماً بشفاعة الامام ، رحمه الله وحشرنا في زمرة .

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح (ترغيب) .

(٢) رواه الطبراني عنه موقوفاً عليه (ترغيب) .

(موعظة) عباد الله : تدبروا المواقب ، واحذروا قوة المناقب ، واحشوا
عقوبة المواقب ، وخافوا سلب السلب ، فانه والله طالب غالب . أين الذين
قعدوا في طلب المتى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا ؟ ما أقل
ما لبثوا وما أرفى ما أقاموا ! لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم على ما
أسلفوا ولاموا :

لما خلقوا لما هجموا واناموا	أما والله لو علم الانام
عيون قلوبهم تاهوا وهاموا	لقد خلقوا لأمر لو رأته
وتويخ ، وأهوال ، عظام	مات ، ثم قبر ، ثم حشر ،
فصلوا من مخافته وصاموا	ليوم الحشر قد عملت رجال
كأهل الكهف ابقاظ نيام	ونحن اذا أمرنا أو نهينا

يا من بأقذار الخطايا قد تلتطخ ، وبآفات البليات قد تضمخ ، يا من سمع
كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى اذا أمسى يفسخ ، يا مطلقاً لسانه
والملك يحصى وينسخ ، يا من طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت
ملوكاً كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم
العود ومن ورائهم برزخ ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ ، يا مبارزاً بالمعظائم
أتأمن أن يخسف بك أو تبسخ ، يا من لازم العيب بعد اشتغال الشيب ففعله يورخ .
والحمد لله دائماً أبداً .

الكبيرة : ثلاثة والثلاثون : تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

في الصحيح ^(١) أن رسول الله ﷺ قال : لمن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء . وفي رواية ^(٢) : لمن الله الرجل من النساء . وفي رواية ^(٣) قال : لمن الله الخنثين من الرجال والمترجلات من النساء يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم ، وعن أبي هريرة ^(٤) رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : لمن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة .

فاذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أي رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) أي أدبوم وعلوم ومروم بطاعة الله وانهموم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم ، ولقوله ^(٥) النبي ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . الرجل راع في أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة . وجاء ^(٦) عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء . » وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعاً (بلفظ لمن رسول الله الخ) .

(٢) قال المصنف في رسالته للصغرى : إسناده حسن .

(٣) عزاهما في الترغيب والترهيب للبخاري من حديث ابن عباس .

(٤) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : على شرط سلم (كترغيب) .

(٥) رواه البخاري مسلم من حديث ابن عمر .

(٦) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة وله شاهد من حديث ابن عمر وصححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط مسلم أفاده المنذري رحمه الله تعالى .

يطيع امرأة فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى في النار ، وقال عليه السلام : « حنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات يميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ، أخرجه مسلم . (قوله) كاسيات أي من نعم الله عاريات من شكرها وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهن . ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، يميلات أي يملن غيرهن الفعسل المذموم ، وقيل مائلات متبغترات يميلات لأكتافهن ، وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا ، ويميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة . رؤوسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عصاة أو عمامة أو نحوها وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبدالله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً . فقال عبدالله بن عمرو : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة فالتفت إلى ابن عمرو فقال : إن الله تعالى لمن على لسان نبيه عليه السلام المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهون من الرجال بالنساء .

ومن الأفعال التي تلتمن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب ، وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأحذية القصار مع تطويل الثوب وتوسمة الأكام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة ، وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء ، قال (١) عن النبي عليه السلام : اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، وقال عليه السلام : ما تركت بمدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء . فنسأل الله أن يعيننا فتنتهن وأن يصلحهن وإياتنا بمنه وكرمه .

(١) هو في الصحيحين من حديث .

(موعظة) ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم ، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك إلى عسكرا الموتى مخيمة بين الخيم . مفرقاً من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم ، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وان شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد ، متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك ما يفني فيما لا ينفذ ، متى تهب بك في بحر الوجد ربح الخوف والرجاء ، متى تكون في الليل قائماً إذا سجا ، أين الذين عاملوا مولايم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا إلى أبه في الأسحار ووهدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا . وبقيت في أعقابهم وان لم تلحق بعدوا :

يا نائم الليل متى ترقد	قم يا حبيبي قد دنا الموعد
من نام حتى ينقضي ليله	لم يبلغ المنزل أو يجهد
فقل لذوي الأبواب أهل التقى	قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة الرابعة والثلاثون : الديوث المستحسن على أهله والعواد الساعي بين
الائنين بالفساد

قال الله تعالى : (الزَّانِي لَا يَنْكحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ) .

عن (١) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : وثلاثة لا يدخلون
الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء ، وروى النسائي (٢) ان رسول الله
ﷺ قال : وثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث
الذي يقر الحُبث في أهله .- يعني يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لحبته
فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز ، أو صداقاً ثقيلاً ، أو له أطفال صغار
فترفعه الى القاضي وتطلب فرضهم فهو دون من يمرض عنه ، ولا خير فيمن لا
غيرة له . فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم .

(موعظة) ايها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستمد لمائة آت ، حتى متى
لا تجتهد في إلحاق القوافل الماضية ، أتطمع وأنت رهين الوساد في إلحاق
السادات ؟ هيهات هيهات هيهات ! يا أملاً في زعمه اللذات أحذر هيجوم هازم
اللذات ، احذر مكائده فهي كواهن في عدة الأنفاس واللحظات :

تمضي حلاوة ما اخفيت وبعدها تبقى عليك مرارة التبعات

(١) رواه النسائي والبخاري وصححه من حديث ابن عمر (التنزي) .
(٢) رواه أحمد والبخاري وقال صحيح الاسناد وهو من حديث عبد الله بن عمر (التنزي).

يا حسرة العاصين يوم معادهم لو أنهم سبقوا الى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ستر العيوب لأكثروا الحسنات

يا من صحيفته بالذنوب قد حفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت أكفاه عن مطامعها كفت ، أما رأيت عرائس آحاد الى اللهود قد زفت ، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولقت ، أما عاينت طور الأجسام في الأرحام ومق تفتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، مق تعتبر بربيع غيرك الدارس ؟ أين الأكارم الشجيمان الفوارس ، وأين المتممون بالجواري والظباء الخنس الكوانس ، أين المتكبرون ذور الوجوه العوايس ، أين من اعتاد سعة القصور ا حبس في القبور في أضيقت الهابيس ! أين الرافل في أثوابه عري في ترابه عن الملابس ، أين الناقل في أمه وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس ، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس ! حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولن جهل نفسه أن يزجرها ، ولن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولن غمر بالنعماء أن يشكرها ، ولن دعي الى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها .

الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له

صح^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له . قال الترمذي : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الامام أحمد في مسنده والنسائي في سننه أيضاً باسناد صحيح . وعن ابن عباس رضي الله عنها قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال : « لا ، الا نكاح رغبة ، لا نكاح دلالة^(٢) » ولا استهزاء . بكتاب الله عز وجل حق يذوق المسيلة . ورواه

(١) رواه النسائي والترمذي قاله المصنف في الصغير .

(٢) التدليس : كتم العيب ، كما في الجمع والاساس ، والمراد هنا اظهار الرغبة في النكاح مع إعطان خلافه .

ابو اسحاق الجوزجاني . وعن عقبه بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : هو الحمل ، لمن الله الحمل والمحلل له . رواه ابن ماجه باسناد صحيح . وعنه ابن عمر أن ربه سأل فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، إلا نكاح رغبة ان اعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها . وانا كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ . وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجتها » . وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال : (ذلك السفاح) . وعن عبد الله بن شريك العامري قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنها وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ، ثم ندم ورغب فيها ، فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له . فقال ابن عمر : « لا ، لانها زان وان مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم انه يريد أن يحلها . وعن ابن عباس رضي الله عنها انه سأل رجل فقال : ابن عمي طلق امرأته ثلاثا ثم ندم فقال : ابن عمك ربه فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا . فقال : كيف ترى في رجل يحلها له ؟ فقال : من يخادع الله يخدعه . وقال ابراهيم النخعي : إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحمل للأول وقال الحسن البصري : إذا تم احد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد وقال سعيد بن المسيب امام التابعين في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول ، فقال : لا تحمل . وعن مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والامام احمد . وقال اسماعيل بن سعيد : سألت الامام احمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه ان يحلها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك ؟ فقال : هو محلل واذا أراد بذلك الاحلال فهو ملعون ، ومنهيب الشافعي رحمه الله : اذا شرط التحليل في العقد بطل العقد ، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فيبطل كنكاح المتعه ، وان وجد الشرط قبيل العقد فالاصح الصحة ، وان عقد كذلك ولم يشرط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد ، وان تزوجها

على انه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحها انه يبطل . ووجه البطلان انه شرط
يمنع صحته دوام التكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح في الرافعي . ووجه الثاني
انه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط ان لا يتزوج عليها ولا
يسافر بها والله أعلم . فنسأل الله ان يوفقنا لما يرضيه ، ويحببنا معاصيه ، انه جواد
كريم غفور رحيم .

(موعظة) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر
عن ظلام شكلها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا ، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا
لامره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا في طاعته لنبيذ
الكري وهربوا اليه من جميع الوري ، وآثروا طاعته ايثار من علم ودري .
ورضوا فلم يمترضوا على ما جرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشراء
اسلموا اليه لما سلوا الروح ، وخدموه والصدر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابيه وإذا
الباب مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا في الاسحار قيام
من يبكي وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا انفسهم
فاذا المذموم بمدوح . تعرفهم بسياهم عليهم آثار الصدق تلوح ، قد عبقوا بنشر
أنسه رائحة ازتياحهم تقوح ، من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق ،
مسكة النفحات الا انها وحشية لسواهم لا تعبق .

الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى : (وثيابك فطهر) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
مر النبي ﷺ بقبرين فقال : انها لعذبان وما لعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان
يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستبرئ ، من البول أي لا يتحرز منه . مخرج
في الصحيحين ، وقال رسول الله ﷺ : « استزهوا من البول فان عامة عذاب
القبر منه » رواه الدارقطني .

ثم ان من لم يتحرز من البول في بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة . وروى
الحافظ أبو نعيم^(١) في « الحلية » عن شفي بن مائع الأصبحي عن رسول الله ﷺ
قال : « أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى ، يسعون ما بين الحمم
والجحيم ، ويدعون بالويل والثبور ، ويقول أهل النار لبعضهم البعض : ما بال
هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى . قال : فرجل مفلق عليه ذبوت من جمر ،
ورجل يجر امعاءه ، ورجل يسيل فيه قيحاً ودماً ، ورجل يأكل لحمه . قال : فيقال
لصاحب الثابت : ما بال الابد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان
الابد مات وفي عنقه أموال الناس ، ثم يقال للذي يجر امعاءه : ما بال الابد
قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الابد كان لا يبالي أين ما أصاب
البول منه « ولا يقسه » . ثم يقال للذي يسيل فيه قيحاً ودماً : ما بال الابد
قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الابد كان ينظر كل كلمة قبيحة
فيستلذها . وفي رواية : كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة ، ثم يقال للذي
يأكل لحمه : ما بال الابد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الابد
كان يأكل لحوم الناس - يعني بالقيبة .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وفي ذم القبيحة ، والطبراني في الكبير بإسناد
لين ، وأبو نعيم ، وقال : شفي بن مائع مختلف في صحبته . فقييل له صحبة . قال الحافظ
(التلوي) شفي ذكره البخاري وابن حبان في التابعين (ترغيب) .

فَسأَل اللهُ العفو والعافية بِنه وكرمه انه ارحم الراحمين .

(موعظة) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا في عواقبهم
أين انطلقوا ، واعلموا انهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فسعدوا وأما
أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعته	ويبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسقى
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه	كراً ^(١) الجديدين نقصاً ثم يتمحق
كان الشباب رداء قد بهجت به	فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم جد المشيب به	كالليل ينهض في أعجازه الأفق
عجبت والدهر لا تقنى عجائبه	من راكبين الى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نقصت بالفجع صاحبها	بطارق الفجع والتنفيض قد طرقوا
دار لعهد بها الأجال مهلكة	وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال لخدوع بباطلها	بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعوني لزخرفها	أين الملوك ، ملوك الناس والسوق
أين الذين إل لذاتها جنحوا	قد كان قبلهم عيش ومرتقق
أمت مساكنهم قفرا معطله	كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها	ان اغتراراً بظل زائل حتى

(١) يعني تماقب الليل والنهار .

الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين :

(يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) . وقال الله تعالى : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) ، وقال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ) الآية ، وقال الله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) .

أي لا يرثي بعمله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :
« ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء ، وقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم ، وقرأت ليقال هو قارىء ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى

ألقي في النار» رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم^(١) : « من سمع الله به ، ومن يراني يراى به » . قال الخطابي معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي عبي ذلك بأنه يشهره ويفضعه ، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم . وقال^(٢) عليه الصلاة والسلام : « اليسير من الرياء شرك » . وقال^(٣) : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم : « اذهبوا إلى الذين كنتم ترءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » ، وقيل في قول الله تعالى : (وبداء لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قيل : كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسناً بدت لهم يوم القيامة سيئات ، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء . وقيل : ان^(٤) المرائي ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائي ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ، اذهب فخذ اجرك بمن عملت له فلا اجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائي يريد أن يقلب قدر الله فيه هو رجل سوء ، يريد أن يقول الناس هو صالح ، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء ؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رآه العبد يقول الله : انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي . وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يبطأ رقبته ، فقال : يا صاحب الرقبة أرفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب . وقيل : ان ابا امامة الباهلي رضي الله عنه أتى

-
- (١) متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكتفي ابا يزيد عنه ، وفي مسند احمد وغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (المراقي) .
- (٢) رواه الحاكم من حديث معاذ الطبراني نحوه (المراقي) .
- (٣) رواه احمد والبيهقي في الشعب من حديث عمود بن لبيد وله رؤسة ورجاله ثقات ، ورواه الطبراني عنه عن واقع بن خديج (المراقي) .
- (٤) ابن ابي الدنيا من رواية جبة البعصي عن صحابي لم يسم واسمائه ضعيف (عراقي) .

على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو ، فقال له ابو أمامة : أنت ، أنت ، لو كان هذا في بيتك ! وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السميت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار ، لأن السميت بالنهار للمخلوقين ، والسميت بالليل لرب العالمين . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : للرائي ثلاث علامات : يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان في الناس ، ويزيد في العمل اذا أثنى عليه ، وينقص اذا ذم به . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منها .

فنسأل الله المعونة والاخلاص في الأعمال والأقوال والحركات والسكنات انه جواد كريم .

(موعظة) عباد الله ! ان أيامكم قلائل ومواعظكم قوائل ، فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير العوافل ، يا من يوقن أنه لا شك راحل ، وما له زاد ولا رواحل ، يا من لج في لجة الهوى متى ترتقي إلى الساحل؟ هل انتبهت من رقاد شامل ، وحضرت المواسد بقلب غير غافل ، وقتت في الليل قيام عاقل ، وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفي بها زفرات الندم والوسائل ، ويمتتها في سفينة دمع سائل . لعلها ترمى على الساحل . واأسفاً لمرور جهول غافل ، لقد أثقل بمد الكهولة بالذنب الكاهل ، وقد ضيع البطالة وبدل الجاهل ، وركن الى ركوب الهوى ركبة مائل ، يبني البنيان ويشيد الماقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعي بمد هذا أنه عاقل . تالله لقد سبقه الأبطال الى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل ، وهيئات هيئات ما فاز باطل بطائل :

أهـا المـعـجـب فـخـرا	بـمـصـاـير الـيـسـوت
إنـمـا الدـنـيا مـحـل	لـقـيـام وـقـنـوت
فـنـدأ تـنـزل بـيـتـا	ضـيـقـا بـمد النـحـوت

بسين أقوام سكوت	ناطقات في الصوت
فارض في الدنيا بثو	ب ومن العيش بقوت
واتخذ بيتاً ضعيفاً	مثل بيت العنكبوت
ثم قل : يا نفس هذا	بيت مثواك فموتي

العكيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتان العلم

قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) يعني العلماء بالله عز وجل ، قال ابن عباس : يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني . وقال مجاهد والشعبي : العالم من خاف الله تعالى . وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم . وقال الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) .

نزلت هذه الآية في علماء اليهود ، وأراد (بالبينات) الرجم والحدود والأحكام ، وبالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام ، ونعته (من بعد ما بيناه للناس) أي بني اسرائيل (في الكتاب) أي في التوراة ، (أولئك) يعني الذين يكتُمون (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس : كل شيء لا الجن والأنس . وقال ابن مسعود : ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتُمون أمر محمد ﷺ وصفته . وقال الله تعالى :

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَبَشَسَ مَا يَشْتَرُونَ) .

قال الواحدي : نزلت هذه الآية في يهود المدينة ، أخذ الله ميثاقهم في التوراة
ليبينن شأن محمد ﷺ ونعمته ومبعثه ولا يخفونه ، وهو قوله تعالى : (لتبيننه
للناس ولا تكتمونه) ، وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن
يبينوا للناس بما في كتابهم ، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله (فنبدوه وراء
ظهورهم) . قال ابن عباس : أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ، (واشتروا
به ثمناً قليلاً) ، يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم ، وقوله :
(فبشس ما يشترون) . قال ابن عباس : قبج شراؤهم وخسروا . وقال رسول
الله ﷺ : « من تعلم علم مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من
الدنيا لم يجد عرف الجنة » يعني ربحها رواه^(١) أبو داود وقسدمر^(٢) حديث
أبي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار ، أحدم الذي يقال له : إنما تعلمت
ليقال عالم وقد قيل ، وقال ﷺ : « من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو ليارى
به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه ، فإلى النار » . وفي لفظ « أدخله الله النار »
أخرجه الترمذي^(٣) ، وقال^(٤) : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم
القيامة بلجام من نار . وكان^(٥) من دعاء رسول الله ﷺ : « أعوذ بك من علم

(١) وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : على شرط مسلم قاله « المنذري »
وقال المصنف في الصغرى : سنده صحيح .

(٢) أي في الباب الماضي .

(٣) بسند فيه إسحاق بن يحيى وهو رآه قاله المصنف في صفراء .

(٤) بإسناد صحيح رواه هطاء عمن أبي هريرة ونحوه من حديث عبدالله بن عمرو وقال على

شرطها ، ولا أعلم له حقه قاله المصنف في الصغرى .

(٥) مسلم والترمذي والنسائي من حديث زيد بن أرقم وقامه (ومن قلب لا ينشع ومن نفس

لا ينفع ، . وقال ^(١) عليه السلام : « من تعلم علماً لم يعمل به لم يزد العلم إلا كبراً . وعن أبي أمامة ^(٢) رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحماز بالرحا فيقال له بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك فيقول : كنت أخالفكم إلى ما أنها كم عنه ^(٣) » ، وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه ، والسلامة منه أشد من العمل به . فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

(موعظة) ابن آدم ! متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرجال عن هذه القصور ؟ الى متى أنت في جميع ما تبني تدور ؟ أين من كان من قبلكم في المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تديره انه لا يحور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور ؟ واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفع الصور ، فاذا قاموا إلى فصل القضاء والساء تمور ، كشفوا الحجاب الخفي وهتك المستور ، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور ، ونصب الصراط فكم من قدم عشور ، ووضعت عليه كلاليب لحطف كل منور ، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور . وباءوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والشبور ، وحيه بالنار تقاد بالأزمة وهي تقور ، إذ ألقوا فيها سمعوا لها شقيقاً وهي تقور ، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور ، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور .

إنما الدنيا متاع
فتذكر هول يوم
كل ما فيها غرور
السما فيه تور

- (١) حسنه الترمذي قاله المصنف في الصغرى ، وقال المنذري ورواه الترمذي وابن ماجه من رواية خالد بن دريك بن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال اسادهما ثلاث .
(٢) رواه ابو داود والترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه والحاكم بنحوه ، وقال غل شرط الشيخين . كلهم من حديث ابي هريرة (المنذري) .
(٣) رواه ابن حبان ومسلم من حديث أسامة بن زيد ، ورواه البيهقي وابن حبان من حديث انس (المنذري) لما هنا من جملة من حديث ابي أمامة خطأ من النسخ أو سبق قلم .

العكيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

قال الواحدي رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصروهم وكان أهله وولده فيهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى لنا ان نزلنا على حكم سعد فبينا ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أي انه الذبح فلا تفعلوا ، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله . قال أبو لبابة : فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفت اني خنت الله ورسوله ، وقوله : (وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) عطف على النهي أي ولا تخونوا أماناتكم . قال ابن عباس : الأمانات الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد ، يعني الفرائض يقول : لا تنقضوها . قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتها ، وأما خيانة الأمانة : فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى . وقوله (وأنتم تعلمون) أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : (ان الله لا يهدي كيد الخائنين) : أي لا يرشد كيد من خان أمانته يعني أنه يفتضح في العاقبة بجرمان الهداية ، وقال ^(١) عليه الصلاة والسلام . آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان . وقال ^(٢) رسول الله ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » . والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارثكب العظام . وعن رسول الله ﷺ انه قال : « أد الأمانة إلى من

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وزاد مسلم (وان صلى وصام وزعم انه مسلم) وروى نحوه أبو يعلى من حديث أنس (المنذري) .
(٢) رواه أحمد والبخاري والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه مسن حديث أنس ، والطبراني في الأوسط ، والصغير من حديث ابن عمر (المنذري) .

اتمنىك ولا تخن من خانك . وفي الحديث (١) ايضاً : « يطبع المؤمن على كل شيء
ليس الحيانة والكذب » وقال رسول الله ﷺ (٢) « يقول الله أنا ثالث الشريكين
ما لم يخن أحدهما صاحبه » ، وفيه ايضاً : « أول ما يرفع من الناس الأمانة ،
وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مصل لا خير فيه » . وقال (٣) رسول الله ﷺ :
اياكم والحيانة فانها بثت البطانة » ، وقال (٤) عليه الصلاة والسلام : « هكذا
أهل النار وذكر منهم رجلاً لا يخفى (٥) له طمع وان دق الا خانه » . وقال (٦)
ابن مسعود : « يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له : أد
أمانتك ، فيقول : أني يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال فتمثل له كهبتها يوم أخذها
في قعر جهنم » ثم يقال له أنزل اليها فأخرجها ، قال فينزل اليها فيحملها على عاتقه
فهي عليه اثقل من جبال الدنيا ، حتى اذا ظن انه حاج موت وهوى في أثرها أهد
الآبدين ثم قال : الصلاة امانة ، والوضوء امانة ، والنسل امانة ، والوزن امانة ،
والكيل امانة ، وأعظم ذلك الودائع .

اللهم عاملنا بلطفك وتدار كنا بعفوك .

(موعظة) عباد الله ! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهل
النفوس وقد أطمعتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها
وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن القليل

(١) رواه أحمد عن ربيع عن الأعمش ، قال حدثت عن أبي أمامة (رغب) . فله إنقطاع
بين الأعمش وأبي أمامة .

(٢) رواه أبو داود ، والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة . وأوله (اللهم اني أهد بك
من الجوع فانه بثت الضجيج) الخ .. (المنذوي) .

(٤) رواه مسلم في حديث طويل من حديث عياض بن حمار الجاشعي .

(٥) لا يخفى : أي لا يظهر ، والظهور والخفاء من الأضداد .

(٦) عزاه في (الترغيب) إلى أحمد والبيهقي موقوفاً ينحرف ما هنا ، قال : وذكر عبد الله
ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد انه سأل أباه عنه فقال اسناده جيد ..

والمناقشة عن النقيير والقتيل قبل ان تنزلوا بطون اللحد ، وتصيروا طعاماً
للدود في بيت بابہ مسدود ، ولو قيل فيه للعاصي ما تختار لقال أعود ولا أعود:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وشمسود
بينما القوم في النارق والاستب رق أفضت إلى التراب الحدود
وصحيح أضحي يعود مريضاً وهو أدنى للموت بمن يعود

الكبيرة الاربعون : المنان

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بألن والأذى) .

قال الواحدي هو أن ين بما أعطى ، وقال الكلبي بالن على الله في صدقت
والأذى لصاحبها ، وفي الصحيح^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ،
والمثقف سلعتة بالخلف الكاذب » . المسبل هو الذي يسبل ازاره أو ثيابه أو
قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين ، لأنه ﷺ قال^(٢) . « ما أسفل من
الكعبين من الأزار فهو في النار » وفي الحديث أيضاً : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ،
العلاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان » رواه النسائي^(٣) وفيه^(٤) أيضاً : « لا

(١) يعني صحيح مسلم ، وهو عند الجماعة سوى البخاري من حديث أبي ذر رضي الله عن
(التدري) .

(٢) رواه مالك وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه في ضمن حديث كذا في
(الترغيب) .

(٣) رواه النسائي من حديث ابن عمر والبخاري وقال صحيح الإسناد وابن حبان
في صحيحه (التدري) .

(٤) رواه الترمذي وقال حديث غريب (ترغيب) والحب بكسر الحاء المعجمة ، هو
الجماع الحبيث .

يدخل الجنة خيب ولا بخيل ولا منان ، والخب هو المكر والحديمة ، والمنان هو الذي يعطي شيئاً أو يتصدق به ثم يمين به . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر ، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) . وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر : أحسنت إليك وفعلت وفعلت . فقال له ابن سيرين : أسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي . وكان بعضهم يقول : من بمروفه سقط من شكره ، ومن أعجب بعمله حبط أجره . وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأثام	بأن يمتنوا عليك منه
واختر لنفسك حظها	واصبر فان الصبر جنه
من الرجال على القلوب	أشد من وقع الائمة

وأنشد أيضاً بعضهم فقال ،

وصاحب سلفت منه إلي يد
أبطأ عليه مكافائي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاريني
أبدى الندامة بما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن
ليس الكريم إذا أعطى بمنان

(موعظة) يا مبادراً بالخطايا ما أجهدك إلى متى تغتر بالذي أمهلك ، كأنه قد أمهلك ؟ فكأنك بالموت وقد جساء بك وأنهلك ، وإذا الرحيل وقد أفرعك الملك ، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك ، وتدمت على وزر عظيم قد أنتهك . يا مطمئناً بالفاني ما أكثر زللك ، ويا معرضاً عن النصح كأن النصح ما قيل لك ، أين حبيبك الذي كان وأين أنتقل ؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل ، أين

كثير المال ، أين طويل الأمل ، أما خلا وحده في لحده بالعمل ، أين من جر ثوبه الخيلاء غافلاً ورفل ؟ أما سافر به والى الآن ما وصل ، أين من تنعم في قصره فكأنه في الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل ، أين من تفوق وأحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده وأفل . أين الأكامرة والجبايرة العتاة الأول ، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

الكبيرة الحادية والإربعون : التكنيب بالقدر

قال الله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) قال ابن الجوزي في تفسيره : في سبب نزولها قولان أحدهما ، أن مشركي مكة أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية . انفرده باخراجه مسلم وروى^(١) أبو أمامة أن هذه الآية في القدرية . والقول الثاني : أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ^(٢) فقال : يا محمد ترعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك . فقال ﷺ : « أنتم خصماء الله ، فنزلت هذه الآية :

(إِنَّ الْجُرْمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إنا كل شيء خلقناه بقدر) .

وروى^(٣) عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرين : أين

(١) رواه ابن عدي وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف قال السيوطي في « الدر المنثور » .

(٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (السيوطي) .

(٣) أخرجه نحوه ابن مردويه من حديث ابن عباس مرفوعاً ذكره السيوطي في (الدر المنثور) .

خصاء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار . يقول الله (ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر) ، وإنما قيل لهم خصاء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها . وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالجبل ، ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه في سقر ، ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر . وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال ، قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » . وقال ابن عباس : كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال الله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما : أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم والثاني : أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم . وقال الله تعالى : (فآلمها فجورها وتقواها) الإلهام إيقاع الشيء في النفس . قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها . وقال ابن زائد : جعل ذلك فيها بتوقيه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم . وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال : « ان الله من على قوم فألمهم الخير فأدخلهم في رحمته ، وابتلى قوماً فخذلهم وذهمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلام فمذنبهم وهو عادل » (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وعن (١) معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً قط وفي أمته قدرية ومرجئة ، ان الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً » وعن (٢) عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « القدرية مجوس

(١) أورده المصنف في الصغرى له من بقية عن أبي الملاء الدمشقي . عن محمد بن حجارة عن يزيد بن حصين عنه ثم قال فيه وفي غيره هذه الأحاديث لا تثبت لضعف روايتها .
(٢) أورده كذلك في الصغرى عن الحسن بن عائشة وقال فيه ما تقدم آتفاً من التضمين ، وهو وما قبله عزهما إلى كتاب السنة لابن أبي عاصم ، وقال فيها مقال ولا تثبت لضعف روايتها .

هذه الأمة ، وعن ابن عمر^(١) رضي الله عنها قال ، قال رسول الله ﷺ :
 « لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر
 أنف . قال : فإذا لقيتهم فأخبرهم أنني منهم بريء وانهم براء مني » ثم قال :
 « والذي نفسي بيده لو أن لأحدم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل
 حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ
 قال : ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر
 خيره وشره .

قوله : « أن تؤمن بالله » الإيمان بالله هو التصديق بأن سبحانه وتعالى موجود
 موصوف بصفات الجلال والكمال ، منزّه عن صفات النقص ، وأنه فرد صمد خالق
 جميع المخلوقات ، متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد . والإيمان
 بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله :

(بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ يُعْمَلُونَ)
 يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
 ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) .

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم
 الله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته وبينوا
 للكافرين ما أمرهم الله به ، وأنه يجب إحترامهم ، وأن لا يفرق بين أحد منهم .
 والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من إعادة
 بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ، وانها

(١) أخرجه صدر حديث ابن عمر وأحد في مسنده إلى قوله (وإن الأمر أنف) أي مستأنف
 لم يقدره الله ولا قضاء بل القضاء تقع أعمالهم بلا قدر سابق وبعيته كما في الدر المنثور « ان عرضوا
 فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدهم » (وعجز الحديث قوله « فأنا لقيتهم . الخ » أخرجه مسلم
 في أول صحيحه .

دار ثوابه وعقابه للنجسين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل . والايان
بالقدر : هو التصديق بما تقدم ذكره ، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه (والله
خلقكم وما تعلمون) وقوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) ، ومن ذلك قوله ﷺ
في حديث ابن عباس : « واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك الا بشيء قد
كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه
الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الامور تصديقاً جازماً لا
ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقاً ، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو
اعتقادات جازمة والله أعلم .

(فصل) أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار
على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضاء الله وقدره ،
والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى
الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والايان بالقدر خيره وشره ، وترك المرء والجدال
والخصومات في الدين ، والمسح على الحقلين ، والجهاد مع كل خليفة برأ وقاجراً ،
والصلاة على من مات من أهل القبلة .

والايان : قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام
الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق ، والصبر تحت لواء السلطان على
ما كان منه من عدل أو جور ، ولا يخرج على الامراء بالسيف وان جاروا ولا
تكفبر أحداً من أهل القبلة وان عمل بالكبائر الا ان استحلوها ، ولا نشهد لأحد
من أهل القبلة بالجنة لخبر أتى به الا من شهد له النبي ﷺ : والكف عما شجر
بين أصحاب رسول الله ﷺ . وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم
عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ
وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرح به العلماء منها: ما لو سخرَ باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده ، كفر ، ولو قال . لو أمرني الله بكذا ما فعلت ، كفر ولو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت إليها ، كفر . ولو قيل له : الا تترك الصلاة فان الله يؤاخذك فقال لو آخذني بها مع ما في من المرض والشدة لظلمني كفر . ولو قال : لو شهد عندي الانبياء والملائكة بكذا ما صدقت ، كفر . ولو قيل له قلم أظافرك فانها سنة فقال لا أفضل وانت كانت سنة ، كفر . ولو قال فلان في عيني كاليهودي ، كفر . ولو قال ان الله جلس للانصاف أو قام للانصاف ، كفر . وجاء في وجه: من قال لمسلم لا تتهم الله لك بخير أو سلبك الايمان ، كفر . وجاء أيضاً ان من طلب بين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال أريد أن تحلف بالطلاق كفر . واختلفوا في من قال رؤيتي لك كرؤية الموت فقال بعضهم ، يكفر . ولو قال . لو كان فلان نبياً ما آمنت به ، كفر . ولو قال ان كان ما قاله صدقاً نجونا ، كفر . ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استهلالاً ، كفر . ولو تنازع رجلان فقال أحدهما لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع ، كفر . ولو سمع أذان المؤذن فقال انه يكذب ، كفر . ولو قال: لا أخاف القيامة ، كفر . ولو وضع متاعه فقال : سلمته إلى الله فقال له رجل سلمته الى من لا يتبع السارق ، كفر . ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيهاً بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم قصعة تريد خير من العلم ، كفر . ولو ابتلى بمصائب فقال : أخذت مالي وولدي وماذا تفعل ، كفر . ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل ألسنت بمسلم ؟ فقال : لا - متعمداً - كفر . ولو تمنى أن لا يجرم الله الزنا أو القتل أو الظلم ، كفر . ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال هذا زنا فألا كثرون على انه يكفر . ولو قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمي صبيانهم ، كفر ولو قال النصراني خير من المجوسي ، كفر . ولو قيل لرجل ما الايمان فقال لا أدري ، كفر . ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهي : لا دين لك ، لا ايمان لك ، لا يقين لك ،

أنت فاجر ، أنت منافق ، أنت زنديق ، أنت فاسق . ومن ذا وأشباهه كله
حرام ويخشى على العبد بها سلب الأيمان والخلود في النار .
ففسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة انه أرحم الراحمين .

(موعظة) عباد الله ! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وغلوا من الشهوات
وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غروا به
وخدعوا ؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا
وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون في القبور
فاذا نفخ في الصور اجتمعوا .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم
والموت يندرم جهراً علانية
والنار ضاحية لا بد موردم
قد أمست الطير والأنعام آمنة
والآدمي بهذا الكسب مرتين
حق يرى فيه يوم الجمع منفرداً
وإذ يقومون والأشهاد قائمة
وطارت الصحف في الأيدي منتشرة
فكيف بالناس والأنبياء واقفة
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له
تهوي بسكانها طوراً وترفعهم
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم
أو استلذوا لذيق العيش أو هجعوا
لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
وليس يدرون من ينجو ومن يقع
والنون في البحر لا يخشى لها فزع
له رقيب على الأسرار يطلع
وحصمه الجلد والأبصار والسمع
والجن والأنس والأملأك قد خشموا
فيها السرائر والأخبار تطلع
عما قليل وما تدري بما تقع
أم في الجحيم فلا تبقي ولا تدع
إذا رجوا مخرجاً من غمها قعوا
هيئات لا رقية تعني ولا جزع

الكبيرة الثانية والاربعون : التمسع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى : (ولا تجسوا) . قال ابن الجوزي رحمه الله : قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء . قال أبو عبيدة : التجسس والتجسس واحد - وهو البحث - ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن أبي كثير : التجسس بالجم عن عورات الناس ، وبالحاء الاستماع لحديث القوم . قال المفسرون : التجسس : البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم . فالمعنى : لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله . وقيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عقبه تقطر لحينه خراً قال : إنا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء نأخذ به .

وقال رسول الله ﷺ : (من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون نُصِب في أذنيه الآنك يوم القيامة) . أخرجه البخاري ، والآذنة : الرصاص المذاب . نعوذ بالله منه ، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

(موعظة) عباد الله ! ان المنايا قد دقت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت ، رب شمس طالعة على القبر قد غربت ، يا فراخ الفنا افخاخ البلى قد نصبت ، عباد الله : كل المعاصي قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . يا من يفخر بالاماني والامال الكواذب ، ومبارز بالقبايح وما يدري من يحارب ، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تقوتك الخيرات والرغائب ؟ يا من عمره يفنى في ممره ويسرى كالتجائب ، يا من شاب وما تاب هذا من العجائب ، يا عجيباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟!

الكبيرة الثالثة والاربعون : التام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الافساد بينهم . هذا بيانها :
وأما أحكامها فهي حرام باجماع المسلمين ، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل
الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى :

(وَلَا تَطْعُمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِتَمِيمٍ) .

وفي الصحيحين^(١) ان رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة نمام » وفي
الحديث^(٢) ان رسول الله ﷺ مر بقبرين قال : انها ليعذبان وما يعذبان في كبير ،
أما أنه كبير . أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله ، وأما الآخر فكان يمشي
بالنميمة . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها إثنين وعرز في كل قبر واحدة ، وقال لعله
أن يخفف عنها ما لم يببسا .

وقوله : وما يعذبان في كبير أي ليس بكبير تركه عليها ، أو ليس بكبير
في زعمها . ولهذا قال في رواية أخرى : « بلى انه كبير » وعن^(٣) أبي هريرة
رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي
يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فان الله يجعل له لسانين
من نار يوم القيامة » . ومعنى من كان ذا لسانين أي يتكلم مع هؤلاء بكلام
وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين قال الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله :
انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا .
وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المتقول
عنه أو المتقول اليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو

(١) وكذا رواه ابو داود والترمذي كلهم من حديث حزيمة بن بيان رضي الله عنها .

(٢) رواه الجماعة وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ .

(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم . قاله وما قبله المنذري في الترغيب والترهيب .

الايام أو نحوها ، وسواء كان من الأقوال أو الأفعال ، وسواء كان عيباً أو غيره .
 وحقيقة النسيمة افشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه . وينبغي للإنسان أن
 يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع
 معصية . قال : وكل من حملت إليه نسيمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا نزمه
 ستة أحوال : (الأول) : أن لا يصدق له لأنه « نمام » فاسق وهو مردود الخبر .
 (الثاني) : أن ينهيه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله . (الثالث) : أن يبغضه
 في الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب . (الرابع) : أن
 لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى : (اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض
 الظن إثم) . (الخامس) : أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق
 ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : (ولا تجسسوا) . (السادس) : أن لا يرضى
 لنفسه ما نهى التام عنه فلا يحكي نسيمة . وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبدالعزيز
 رجلاً بشيء فقال عمر : يا هذا ان شئت نظرنا في أمرك ، فان كنت صادقاً فأنت
 من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ، وان كنت كاذباً فأنت من
 أهل هذه الآية (مماز مشاء بنميم) ، وان شئت عفونا عنك . فقال : العفو
 يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً .

ورفع انسان رقعة إلى الصاحب^(١) بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال
 اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة : النسيمة قبيحة وان كانت
 صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمسال ثمره الله ، والساعي
 لعنه الله .

وقال الحسن البصري ، من نقل اليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك
 وهذا مثل قول الناس : من نقل اليك نقل عنك فاحذره . وقال ابن المبارك :
 ولد الزنا لا يكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنسيمة

(١) وذكرها ابن أبي شامة في كتابه « الروضتين » في مناقب محمد بن زكريا رحمه الله .

دل على أنه ولد الزنا إستنباطاً من قول الله تعالى: (عتل بعد ذلك زنيم) ، والزنيم هو الداعي .

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخاه له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه ، فقال له : يا أخي أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنائيات : بغضت إلي أخي ، وشغلت قلبي بسببه ، واتهمت نفسك الأمانة . وكان بعضهم يقول : من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك . وجاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال : ان فلاناً شتمك وقال عنك كذا وكذا ، فقال : اذهب بنا إليه ، فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال : يا أخي ان كان ما قلت في حقاً فغفر الله لي ، وان كان ما قلت في باطلاً فغفر الله لك . وقيل في قول الله تعالى : « حالة الخطب » يعني امرأة أبي لهب ، انها كانت تنقل الحديد بالنميمة . سمى النميمة خطباً لأنها سبب المداوة ، كما ان الخطب سبب لاشتعال النار . ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

(حكاية) روي أن رجلاً رأى غلاماً يبيع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط ، فاستخف بالمعيب واشتراه ، فكثت عنده أياماً ثم قال لزوجته سيده : ان سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى ، وقال انه لا يحبك فان أردت ان يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فاذا نام فخذني الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك ، فقالت في نفسها : نعم . واشتغل قلب المرأة ، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدي : إن سيدي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه ، وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة ، وان لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده . فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه : والله صدق الغلام بما قال ، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت

إلى حلقه قام وأخذ موسى منها وذبح به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ،
فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤم . فذلكم سمى الله الفاسقاً
في قوله تعالى :

(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) .

(موعظة) يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكاً ، يا غافلاً عن التلف
وقد أدركه ادراكاً ، يا مغروراً بسلامته وقد نصب له الموت أشراكاً ، تفكر
في إرتحالك وأنت على حالك فان لم تبتك فتباكي .

بكيت فما تبكي شباب صباحك	كفالك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً	مكان الشباب الغض ثم نعاك
ألم تر يوماً مر إلا كأنه	بأهلك للهاكسين عناك
ألا أيها الغاني وقد حان حينه	أنطمع أن تبقى فلست هناك
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى	فينسلك ما خلفته ، هو ذاك
تموت كما مات الذين نسيهم	وتنسى ويهوى الحي بعد هواك
كأنك قد أقصيت بعد تقرب	إليك وان باك عليك بكاك
كان الذي يحثو عليك من الثرى	يريد بما يحثو عليك رضاك
كان خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك إذا الخطب الجليل أذاك
ترى الأرض كم فيها رهون دفيئة	غلغن فلم يقبل لمن فكاك

الكبيرة الرابعة والاربعون : اللعان

قال النبي ﷺ^(١) : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » . وقال ﷺ : « لعن المؤمن كقتله » أخرجه البخاري^(٢) . وفي صحيح مسلم^(٣) عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام^(٤) : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً » . وفي الحديث : « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء » . والبذيء : هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام . وعن رسول الله ﷺ قال : «^(٥) ان العبد اذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق ابوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فاذا لم تجد مساعفاً رجعت إلى الذي لعن إن كان أهلاً لذلك ، والا رجعت إلى قائلها . » وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقته بأن سلبها إياها ، قال عمران بن حصين : بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقه فضجحت فلعننها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة » . قال عمران فكأنني أنظر إليها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد » أخرجه مسلم^(٦) . وعن أبي هريرة^(٧) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

- (١) أخرجه الجماعة إلا أبو داود ، من حديث ابن مسعود (ترغيب) .
- (٢) رواه الجماعة سوى ابن ماجه من حديث ثابت بن الضحالك (ترغيب) .
- (٣) من حديث أبي الدرداء وكلنا أبو داود بدون لفظ يوم القيامة (ترغيب) .
- (٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ونحوه عند الحاكم وصححه (ترغيب) .
- (٥) رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء (ترغيب) ونحوه عند أحمد من حديث ابن مسعود بسند جيد (المنذري) .
- (٦) ونحوه عند أحمد من حديث أبي هريرة وعند أبي يعلى وابن أبي الدنيا من حديث أنس في تخليق سبيل ما لعن بأصانيد جيدة (الترغيب) .
- (٧) رواه البزار بإسنادين أحدهما قوي وهو في بعض نسخ أبي داود بنحوه ، وهذا وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند الطبراني ، ومن حديث سعيد بن زيد عند أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات (ترغيب) في موضعين أحدهما : الترهيب من الغيبة والبهت ، والثاني الترغيب في صلة الرحم .

« ان أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم » ، وعن عمرو بن قيس :
قال إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم إجمعه في رفيقاً رحياً فإذا لعنها قالت :
على أعصاة الله ورسوله لعنة الله عز وجل .

(فصل) في جواز لعن أصحاب المعاصي غير الميمين المعروفين قال الله تعالى :
(ألا لعنة الله على الظالمين) . وقال : (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) ،
وثبت عن رسول الله ﷺ انه قال : « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه » .
وإنه قال : « لعن الله المحلل والمحلل له » ، وانه قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة
والواشمة والمستوشمة والنامصة والمنتمصة » . فالواصلة : هي التي تصل شعرها ،
والمستوصلة : هي التي يوصل لها ، والنامصة : هي التي تنتف الشعر من الحاجبين ،
والمنتمصة : التي يفعل بها ذلك ، وانه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقفة .
فالصالقة : هي التي ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هي التي تحلق شعرها عند
المصيبة والشاقفة هي التي تشق ثيابها عند المصيبة . وانه ﷺ لعن المصورين ، وانه
لعن من غير منار الأرض أي حدودها ، وانه قال : « لعن الله من لعن والديه ،
ولعن من سب أمه » . وفي السنن انه قال : « لعن الله من أضل أعمى عن الطريق .
ولعن الله من أتى بهيمة ، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » . وانه لعن من
أتى كاهناً ، أو أتى امرأة في دبرها ، ولعن النائحة ومن حولها ، ولعن من أم
قوماً وهم له كارهون ، ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ولعن رجلاً
سمع : حي على الصلاة ، حي على الفلاح ثم لم يجب . ولعن من ذبح لغير الله ،
ولعن السارق ، ولعن من سب الصحابة ، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات
من النساء ، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال
ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة ، ولعن من سل
سغيمته على الطريق يعني تقوط على طريق الناس ، ولعن السلطاء . والمرأة
السلطاء : التي لا تخضب يديها ، والمرأة التي لا تكتحل ، ولعن من خيب امرأة
على زوجها أو مملوكاً على سيده - يعني أفسدها أو أفسده - ولعن من أتى
حائضاً أو امرأة في دبرها ، ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة ، ولعن مانع

الصدقة يعني الزكاة ، ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، ولعن من كوى دابة في وجهها ، ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم ، ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ، ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمكنه ، ولعن الفاعل والمفعول به - يعني اللواط - ولعن الخمره وشاربها وساقيا ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها والذال عليها . وقال عليه السلام : « ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله ، والزائد في كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي . ولعن الزاني بامرأة جاره ، ولعن ناكح يده ، ولعن ناكح الأم وبناتها ، ولعن الراشي والمرتشي في الحكم والرائش يعني الساعي بينها ، ولعن من كم العلم ، ولعن المحتكر ، ولعن من أخفر مسلماً يعني خذله ولم ينصره ، ولعن الوالي إذا لم يكن فيه رحمة ، ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا تقزوج ، والمتبتلات من النساء ، ولعن راكب القلاة وحده ، ولعن من أتى بيعة .
نموذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

(فصل) أعلم أن لعن المسلم المصون حرام باجماع المسلمين ، ويجوز لعن اصحاب الاوصاف المذمومة كهولك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين . ونحو ذلك كما تقدم ، واما لعن انسان بعينه من إتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الاحاديث إنه ليس بحرام . وأشار القرطبي رحمه الله إلى تحريمه إلا في حق من علمنا انه مات على الكفر ، كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الابعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق والكافر . قال : واما الذين لعنهم رسول الله عليه السلام بأعيانهم كما قال . اللهم لعن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله وسوا . وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز انه عليه السلام علم موتهم على الكفر ، قال ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى

الدعاء على الظالم كقول الانسان لا أصح الله جسمه ولا سنة الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا ان يكون لا يستحق .

(فصل) ويجوز للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل مؤدب ان يقول لمن يخاطبه في ذلك : ويلك ، أو يا ضعيف الحال ، أو يا قليل النظر لنفسه ، أو يا ظالم نفسه ، أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقاً في ذلك . وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ، ويكون الكلام أوقع في النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

(موعظة) يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مقبلاً على ما يضر تاركاً لما يفيد أتراك يخفي عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك شهيد
فان كنت بالامس إقترفت إساءة فبادر باحسان وانت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد فرب غد يأتي وانت فقيد
اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حبيك فأعلم أنها ستعود

الكبيرة الخامسة والأربعون : الفدر وعدم الوفاء بالمهد

قال الله تعالى : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)

قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد . وقال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)

قال الواحدي : قال ابن عباس في رواية الوالي (اليهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن . وقال الضحاك بالمهود التي أخذ الله على هذه الأمة ان يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والمهود وكذا العهد جمع عهد : العقد بمعنى العقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ، ولا سبيل إلى نقضه بحال . وقال مقاتل بن حيان : (أوفوا بالعقود) التي عهد الله اليكم في القرآن ، مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه وبالمهود الذي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم . وقال النبي ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا أتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » مخرج في الصحيحين^(١) وقال^(٢) رسول الله ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ابن فلان » وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل إستأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » . أخرجه البخاري^(٣) وقال رسول الله ﷺ : « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة

(١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما (ترغيب) .

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٣) وكذا رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (ترغيب) .

ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ، أخرجته مسلم^(١) . وقال رسول الله ﷺ^(٢) : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يأمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب ان يؤتى اليه ومن بايع اماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعمه ان استطاع ، فان جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

الكبيرة السادسة والاربعون : تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) .

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) قال الكلبي : لا تقل ما ليس لك به علم . وقال قتادة : لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم . والمعنى : لا تقولن في شيء بما لا تعلم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) قال الوابي عن ابن عباس : يسأل الله العباد في استعملوها وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم واردة ما لا يجوز ، والله أعلم . وقال الله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) قال ابن الجوزي : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه فلا يظهر : أي فلا يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحد من الناس إلا من ارتضى من رسول ، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب . والمعنى : ان من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على ان من زعم ان النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم .

(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وقال (١) رسول الله ﷺ : « من أتى عرفاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كثر بما أنزل على محمد ﷺ . وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فاما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، واما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب . » .

قال العلماء : ان قال مسلم مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافراً مرتدأ بلا شك ، وان قال مریداً أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر ، واختلفوا في كراهته ، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) : في أثر سماء - السماء هنا المطر ، والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ : « من أتى عرفاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » رواه مسلم (٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « سألت رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال : « ليس بشيء » . قالوا : يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرأها في إذن وليه . أي يلقيها ، فيخلط معها مائة كذبة . نخرج في الصحيحين . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمع فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » رواه البخاري .

(١) رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . كلام ذكره المنذري في غمته لسنن أبي داود ، ورواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطها ، وله شاهد من حديث جابر عند البزار بإسناد جيد ومن حديث أنس عند الطبراني بسند فيه رشدين بن سعد (ترغيب) .

(٢) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن قبيصة بن أبي المخارق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« العيافة والطيرة والطرق من الجبت » رواه أبو داود وقال : للطرق : لزجر .
أي زجر الطير ، وهو أن يتيامن أو يتشامم بظيوائه . فإن طار إلى جهة اليمين
تيمن ، وإن طار إلى جهة اليسار تشامم . قال أبو داود : العيافة أخض . قال
الجوهرى : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وعسن
ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس
شعبة من السحر زاد ما زاد » ، وقال علي بن أبي طالب : الكاهن ساحر والساحر
كافر . فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة .

(موعظة) : عباد الله تفكروا في سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا في أموركم
قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقرن الأخوان .
أين من شيد الأيوان ، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الأكتاف
هتف نذيرهم بأهل المرقان (كل من عليها فان) تقلبت بهم الأحوال . ولعبهم
في أيدي الليالي . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أجاؤهم بعد ليال .
عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم في المقال لقال :

من رأنا فليحدث نفسه	انه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها	ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت	وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهرأ بعيش ناعم	ابيض دهرم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم	وكذلك الدهر يودي بالرجال

الكبيرة السابعة والاربعون - نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى : (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ
وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْسُفُوا
عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) .

قال الواحدي رحمه الله تعالى : النشوز هنا معصية الزوج وهو الترفع عليه
بالخلاف . وقال عطاء : هو أن تتمطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من
الطواعية . (فعضوهن) بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ، (واهجروهن
في المضاجع) . قال ابن عباس هو ان يوليا ظهره على الفراش ولا يكلمها . وقال
الشمي ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجمها ، (واضربوهن) ضربا
غير مبرح . وقال ابن عباس أدبا مثل اللكزة ، وللزوج ان يتلافى نشوز امرأته
بما اذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية (فان اطعنكم) فيما يلتمس منهن (فلا
تبغوا عليهن) .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفي الصحيحين : (١) ان رسول الله
ﷺ قال : « إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى
تصبح » . وفي لفظ - فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح -
ولفظ الصحيحين ايضا (٢) : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه
إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » .

وعن جابر (٣) رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ،

(١) من حديث أبي هريرة وكذا رواه أبو داود والنسائي (الترغيب) .

(٢) وكذا النسائي من حديث أبي هريرة أيضا (التذري) .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبدالله بن محمد بن عقيل ، ورواه ابن خزيمة وابن
حبان في صحيحيهما من رواية زهير بن محمد (الترغيب) ، وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه
وكذا زهير بن محمد التميمي .

ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو .

وعن الحسن^(١) قال حدثني من سمع النبي ﷺ يقول : « أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلمها » . وفي الحديث :^(٢) « ان رسول الله ﷺ قال : « لا يجزل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بأذنه ولا تأذن في بيته إلا بأذنه » أخرجه البخاري . ومعنى شاهد أي حاضر غير غائب وذلك في صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته وقال ﷺ : « لو كنت امرأة أحداً أن يسجد لأحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها » رواه الترمذي^(٣) . وقالت عمة حصين بن محسن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال : « انظري من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك » أخرجه النسائي ، وعن عبد الله ابن عمرو^(٤) رضي الله عنها قال ، قال رسول الله ﷺ : لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه ، . وجاء عنه^(٥) ﷺ انه قال : « اذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب » وقال^(٦) رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

(١) رواه أبو الشيخ في « ثواب الاعمال » من حديث أنس زاد في آخره : وعن بعلمها كيف عملت اليه (منتخب كنز العمال) .

(٢) من حديث أبي هريرة وكذا مسلم وغيرهما .

(٣) من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح ، وله شاهد من حديث عائشة عند ابن ماجه وقيس بن سميد عند أبي داود وابن أبي أوفى عند ابن ماجه وابن حبان ومعاذ عند الحاكم (الترغيب) .

(٤) رواه النسائي بإسناد صحيح . قاله المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر ، وزاد في (الترغيب) البزار والحاكم وصححه .

(٥) رواه الطبراني من حديث ابن عباس ، وأشار المنذري لضمه ولفظه : « ولا تخرج من بيته إلا بأذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع » (رغب) .

(٦) رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، كلهم من حديث مساور الجعفي عن أمه عن أم سلمة (ترغيب) .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى ارادها لقول النبي ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنوير » . قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ، ولا يحل للرجل أيضاً أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس ، ولا يجامعها حتى تغتسل ، لقول الله تعالى : (فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوا منهن حتى يطهرن) أي لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن . قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الدم ، فإذا تطهرن أي اغتسلن بالماء ، والله أعلم . ولما تقدم من قول النبي ﷺ : « من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد » . وفي حديث آخر : « ملمون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها » . والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا اراد اتيانها في حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقه ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها ، وتكون مستعدة لتتمه بها بجميع أسباب النظافة ، ولا تتفخر عليه بما لها ، ولا تعيبه بغيره إن كان فيه .

قال الأصمعي (١) : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا ، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فيجعلني ثوابه ولعلي أسأت فبجعله عقوبتي .

وقالت عائشة رضي الله عنها : يا مبشر النساء لو تعلمن بحق أزواجهن عليكن لجملت المرأة منكن تمسح الفيار عن قدمي زوجها بخد وجهها .

وقال ﷺ : (٢) « نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أوذت

(١) رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث طلق بن علي (ترغيب) .

(٢) رواه الطبراني من حديث أنس ورواه عتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي لم يقف المنذري فيه على جرح ولا تعديل . قال : وقد روي هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما (ترغيب) .

أنت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول : لا أذوق غمضاً حتى ترضى

ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها ، وغض طرفها قدامه ، والضاعة لأمره ، والسكوت عند كلامه ، والقيام عند قدومه ، والابتعاد عن جميع ما يسخطه ، والقيام معه عند خروجه ، وعرض نفسها عليه عند نومه ، وترك الحيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته ، وطيب الرائحة وتعاهد القوم بالسواك وبالمسك والطيب ، ودوام الزينة بحضرتة ، وتركها الغيبة ، وإكرام أهلها وأقاربه وتزى القليل منه كثيراً .

(فصل) في فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها ، فهو جنتها ونارها . لقول النبي ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » ، وفي الحديث ^(١) أيضاً : « إذا صلت المرأة خمسا ، وصامت شهرها ، وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت » .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء ، والحيتان في الماء ، والملائكة في السماء ، والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها . وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأيما امرأة كلبت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه . وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع .

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضاً قال : « أربع من النساء في الجنة ، وأربع في النار . فاما الأربع اللواتي في الجنة : فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ، ذات حياء . إن غاب عنها حفظت نفسها وماله ،

(١) تقدم تخويجه آتيا .

(٢) روى احمد والطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ « قيل لها أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت » ورواه احمد ورواه الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن في التاليفات (تاليف) .

وان حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة^(١) امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت اليهم ولم تتزوج خشية ان يضيعوا . وأما الأربع اللواتي في النصار من النساء : فامرأة بذينة اللسان على زوجها أي طوية اللسان على زوجها أي طوية اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وان حضر آذته بلسانها . والثانية : امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق . والثالثة : امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة . والرابعة : امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها . فالمرأة اذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار الا أن تتوب الى الله ، وقال النبي ﷺ^(٢) : «إظلمت في النار قرأيت أكثر أهلها النساء» وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولازواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج اذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي ﷺ^(٣) : « المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها إستشرفها الشيطان » .

وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها ، وفي الحديث أيضاً المرأة عورة فاحبسوها في البيوت ، فان المرأة اذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدن ؟ قالت : أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها . وما التمس المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلمها . وقال علي رضي الله عنه لزوجه فاطمة رضي الله عنها : يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها . وكان علي رضي الله عنه يقول : ألا تستحون ، ألا تفارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر

(١) (تلييه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانياً ولا الثالثة .

(٢) مخرج في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها .

اليهم وينظرون اليها ! وكانت عائشة^(١) وحفصة رضي الله عنهما يوماً عند النبي ﷺ جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي ﷺ احتجياً منه ، فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : أفعميا وان أنبا ألسنا تبصرانه ؟ ،

فكما أنه ينبغي للرجل أن يفض طرفه عن النساء ، فكذلك ينبغي للمرأة أن تفض طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها : ان خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها . فان اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولاجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه ، فلتخرج باذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها ، وتفض طرفها في مشيتها ، وتتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً ، فان لم تفعل ذلك والا كانت عاصية . وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا ، وكانت تخرج من بيتها متبرجة ، فماتت فراءها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رفاق ، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوا بها ذات الشمال الى النار فانها كانت من المتبرجات في الدنيا .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكي بكاء شديداً ، فقلت له : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، ما الذي أبكاك ؟ قال : يا علي ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساء من أمي يعذبن بأنواع العذاب ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة

(١) رواه ابو دارد والنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح من حديث نهبسان مول أم سلمة قال : سمعت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد ان امرأة بالحجاب الخ .. قال ابو دارد : هذا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، ألا ترى إلى إعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : إعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى ، تضمين ثيابك عنده قال الحافظ في التلخيص : وهذا جمع حسن ، وبه جمع المنذري في حواشيه واستحسنه شيخنا يعني العراقي هـ ١ . من سنن أبي دارد وشرحها (عون المعبود) .

بشعرها يغلي دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بشديها ، ورأيت امرأة رأسها خنزير وبدنها بدن حمار عليها الف الف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار .

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت : حبيبي وقررة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهم العذاب ؟ فقال ﷺ : يا بنية أما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال ، وأما التي كانت معلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها ، وأما المعلقة بشديها فانها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التي تشد رجلاها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والمقارب فانها كانت لا تتظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهيء بالصلاة .

وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فانها كانت غامة كذابة وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فانها كانت منانة خسادة .

وعن ^(١) معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله . ويابنية ^(٢) الويل لامرأة تعصي زوجها » .

(فصل) : وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضاً مأمور بالاحسان اليها والالطف بها ، والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره ، وايصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى : (وعاتروهن بالمعروف) ولقول النبي ﷺ : ^(٣) « استوصوا بالنساء ، الا ان

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن ، وآخره بعد قوله « قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يشك ان يفارقك اليها » .

(٢) وقوله يا بنية الويل الخ ليس من حديث معاذ ولعله من حديث هلي وفاطمة السابق .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وهسو من حديث عمرو بن الاحوص الجشمي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الخ (ترغيب) .

لكم على نسايتكم حقاً ولنسايتكم عليكم حقاً . فحقهن عليكم أن تحسوا اليهن في كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكبرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكبرهون . . وقوله ﷺ : « عوان » أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير .

وقال^(١) ﷺ : « خيركم خيركم لأهله » ، وفي رواية « خيركم أطفلكم بأهله » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته - وهو أمير المؤمنين - فكيف حالي ؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن أبيه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فقال عمر : يا أخي اني احتملتها لحقوق لها علي : انها طبخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي . . وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا احتملتها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر : فاحتملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة .

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل

(١) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها وله شاهد من حديث ابن عباس عند ابن ماجه والحاكم وضعه ، ومن حديث أبي هريرة عند الترمذي وابن حبان وصححه الترمذي (ترغيب) .

سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من ؟ فقال : أخسو زوجك في الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تدمنم عليه فيبينا هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه ، فجاء فلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ، ثم ادخل أخاه والمرأة على ساهلها تدمنم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال أخو زوجك فلان في الله ، فقالت مرحباً بك وأهلاً وسهلاً ، أجلس فانه سيأتي ان شاء الله بخير وعافية . قال : فتمعجب من لطف كلامها وأديها ، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتمعجب أيضاً لذلك ، فجاء فلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لها وجعلت تدعو لها بكلام لطيف ، فلما اراد أن يفارقه قال : يا أخي اخبرني عما أريد أن أسألك عنه . قال : وما هو يا أخي ؟ قال : عام اول اتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تدم كثيراً ورأيتك قد اتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الاسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تدمنم ورأيتك قد اتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال يا أخي : توفيت تلك المرأة الثرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها . كنت معها في تعب وأنا أحتملها ، فكان الله قد مسخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها واحتمالي لها ، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا في راحة معها فانقطع عني الأسد ، فاحتجت ان أحمل الحطب على ظهري لاجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائمة . فانسأل الله ان يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى ، انه جواد-كريم .

الكبيرة الثامنة والاربعون : التصوير في الشياطين والحيطان
والحجر والبراهم وسائر الاشياء سواء كانت من شمع او
عجين او حديد او نحاس او صوف او غير ذلك ، والامر
باتلافها .

قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرُسُولَهُ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) .

قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضي الله عنها قال ،
قال رسول الله ﷺ : « ان الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم :
« أحيوا ما خلقتم » مخرج في الصحيحين . وعن عائشة رضي الله عنها قالت :
قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سرت سهوة لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول
الله ﷺ تلون وجهه وقال : « يا عائشة : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين
يضاهون بخلق الله عز وجل » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقطعته فجمعت
منه وسادتين . مخرج في الصحيحين . القرام بكسر القاف وهو الستر ، والسهوة
كالصفة تكون بين يدي البيت . وعن ابن عباس رضي الله عنها قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس
يعذب في نار جهنم » مخرج في الصحيحين ، وعنه^(١) رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « من صور صورة في الدنيا كلف ان ينفخ فيها الروح يوم
القيامة وليس ينفخ فيها أبداً » وعنه ﷺ أنه قال : « يقول الله عز وجل : ومن
أظلم ممن ذهب يخلق كخلقني ، فليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة ، أو ليخلقوا
ذرة » مخرج في الصحيحين .

وقال^(٢) ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : ابي وكلت بثلاثة :

(١) رواه البخاري وفيه قصة ا هـ (ترغيب) .

(٢) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (ترغيب) .

بكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين .
وقال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة »
مخرج في الصحيحين .

وفي سنن أبي داود عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » . وقال الخطابي رحمه الله تعالى قوله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة ، فانهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل : انه لم يرد الجنب الذي أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ، ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذ عاده . فان النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد ، وفي هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه

وقالت^(١) عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء .

وأما الكلب فهو أن يفتني كلباً لا لزوع ولا لضرع ولا صيد ، فلم يمس إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه في بعض الأمور ، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه ، فلا حرج عليه ان شاء الله .

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح ، سواء كانت لها أشخاص منتصبية أو كانت منقوشة في سقف أو جدار أو موضوعة في نبط ، أو منسوجة في ثوب أو مكان ، فان قضية المصوم تأتي عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .

ويجب اتلاف الصور لمن قدر على اتلافها وازالتها . روى مسلم^(٢) في صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك

(١) رواه الترمذي وأعله .

(٢) وكذا أبو داود والترمذي ، وحيان بن حصين هو أبو الهياج الأسدي .

على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ان لا تدع صورة الأطمستها ، ولا قبراً
شرفاً إلا سويته .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ، انه حواد كريم .

**الكبيرة التاسعة والاربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب
وحلق الرأس وفتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة**

روينا في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى
الجاهلية » .

وروينا في صحيحهما عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ :
« بريء من الصالقة والحالقة والشاقة » الصالقة : التي ترفع صوتها بالنياحة ،
والحالقة : التي تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة : التي تشق ثيابها
عند المصيبة ، وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم
الخدود وخش الوجه ، والدعاء بالويل والثبور .

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة ان
لا ننوح . رواه البخاري ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« اثنان في النار هما يهم كفر : الطمن في الانساب والنياحة على الميت » رواه
مسلم

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة
والمستمعة . رواه ابو داود . وعن^(١) ابي بردة قال : وجع ابو موسى الأشعري
فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة ، فلم يستطع أن
يرد عليها ، فلما أفاق قال : أنا بريء مما بريء منه رسول الله ﷺ ، ان رسول

(١) رواه البخاري وابن ماجه والنسائي « الترغيب » .

الله ﷺ بريء من الصالفة والحالفة والشاقفة

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : أغشى علي عبد الله بن رواحة فجعلت اخته تعدد عليه فتقول : واكذا واكذا ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذا أنت كذا ، أخرجه البخاري (١) .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «الميت يعذب في قبره بما نوح عليه» .
وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم بأكيهم فيقول :
واسيداه واجبلاه ، واكذا واكذا ، ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه :
أهكذا أنت ؟ أخرجه الترمذي (٢) .

وقال ﷺ (٣) : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب . وقال ﷺ : إنما نبيت عن صوتين أحقين فأجرين : صوت عند نغمة وهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خشن في وجوه وشتى في جيوب ورنه شيطان . وقال الحسن : صوتان مملوءان مزمارة عند نغمة ورنه عند مصيبة .

وقال (٤) رسول الله ﷺ : ان هذه النوائح يجعلن صفين في النار فينبعن في أهل النار كما تنبح الكلاب . وعن الأوزاعي ، ان عمر ابن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره ، فقال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها ، وقال : أضرب فانها نائحة ولا حرمة لها ، انها لا تبكي بشجوكم انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم ، وانها تؤذي موتاكم في قبورهم ، وأحياءكم في دورهم لأنها تنهي عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمير بالجزع وقد نهى الله عنه .

وأعلم ان النياحة : رفع صوت بالندب : تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

(١) وزاد : فلما مات لم تبك عليه (ترغيب) .

(٢) وقال حديث حسن غريب ، وكذا رواه ابن ماجه (ترغيب) .

(٣) رواه مسلم وابن ماجه من حديث ابي مالك الاشعري .

(٤) رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة ، وأشار المنذري إل ضعفه .

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بأفراط بالبكاء ، وأما البكاء على الميت من غير نذب ولا نياحة فليس بحرام . روينا في صحيح البخاري ومسنن عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا . فقال : « ألا تسمعون ان الله لا يعذب بسدمع العين ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانه . وروينا في صحيحها عن اسامة بن زيد ان رسول الله ﷺ ، فقال سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء » . وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه ابراهيم وهو يبكي فبكت عين رسول الله ﷺ تذر فان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال : يا ابن عوف « انها رحمة » ، ثم أتبعها بأخرى فقال : « ان العين لتدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وأنا بفراقك يا ابراهيم لحزون » .

وأما الاحاديث الصحيحة : ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها واطلاقها بل هي مؤولة ، واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها والله أعلم انها عمولة على أن يكون له سبب في البكاء إما أن يكون قد اوصاه به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعي : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح : « فاذا وجبت فلا تبكين باكية » ، وقد نص الشافعي والاصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم ، وتأولوا حديث « فلا تبكين باكية » على الكراهة والله أعلم .

(فصل) وانما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ، ونهى عن الجزع والسخط . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين)

قال عطاء عن ابن عباس يقول : إني معكم أنصركم ولا أخذلكم قال الله تعالى :
(ولئن أولئك) أي لتعاملنكم معاملة المبتلي لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى
الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي ، فمن صبر أثابه على صبره
ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقول الله (بشيء من الخوف والجوع) قال
ابن عباس : يعني خوف العدو ، والجوع يعني المجاعة والقحط ، (ونقص من
الأموال) يعني الحسران والنقصان في المال وهلاك المواشي ، (والأنفس) بالموت
والقتل والمرض والشيب ، (والثفريات) يعني الخوائج ، وأن لا تخرج الثمرة كما
كانت تخرج . ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه
المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : « وبشر الصابرين » ،
ثم نعمتهم فقال : « الذين إذا أصابتهم مصيبة » أي تألتهم نكبة مما ذكر ، ولا
يقال فيما أصيب بخير مصيبة (قالوا إنا لله) عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء (وإنا
إليه راجعون) بالهلاك وبالفناء ، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراد
بالحكيم ، إذ قد ملك في الدنيا قوماً الحكم ، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى
الله عز وجل .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مصيبة يصاب
بها المؤمن الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها » رواه مسلم^(١) وعن^(٢) علقمة
ابن مرثد بن سابط عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « من أصيب بمصيبة
فليذكر مصيبتة بي فاتها أعظم المصائب » . وقال^(٣) رسول الله ﷺ : « إذا
مات ولد العبد يقول الله للملائكة قمضتم ولد عسدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع .
فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » ، وعن رسول
الله ﷺ قال : يقول الله تعالى ما لعبدى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل

(١) وكذا وشاهده عندهما من حديث ابن سعيد الحديري (الترغيب)

(٢) رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد والله ابن حبان وضعه غيره
(مجمع الزوائد) ؟

(٣) رواه الترمذي وابن حبان وقال الترمذي حسن غريب (ترغيب)

الدنيا ثم احتسب الا الجنة « رواه البخاري .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سعادة بني آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها . فيقول ملك الموت عليه السلام : « مم هذا الجزع ومم هذا الفزع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً فان كانت شكايتكم وسخطكم علي فاني والله مأمور ، وان كان على ميتكم فانه مقهور ، وان كان على ربكم فأنتم به كافرون ، وان لي بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحداً . » قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم .

(فصل في التعزية) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « من عزى مصاباً فله مثل أجره » رواه الترمذي^(١١) .

وعن ابي بردة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنهما : « من عزى ثكلى كسي برداً من الجنة » رواه الترمذي^(١٢) .

وعن^(١٣) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هذا البيت فترحمت اليهم ميتهم وعزيتهم به .

وعن عمرو^(١٤) بن حزم عن النبي ﷺ : « ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلال الكرامة يوم القيامة » .

(١١) وقال في كليبها حديث غريب، وزاه في الأول أنه روي موقوفاً (للترغيب) .
(١٢) رواه أبو داود والنسائي بسند فيه ريبة بن سيف لأبي من أهل مصر فيسه كلام لا يفتح في حسن الاسناد (للترغيب) .
(١٣) رواه ابن ماجه وبكت عليه (للتهذيبي) .

وأعلم رحمك الله أن التعزية هي التصيير ، وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ، وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي أيضاً داخلة في قول الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) . وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية .

وأعلم أن التعزية هي الأمر بالصبر ، مستحبة قبل الدفن وبعده . قال أصحاب الشافعي : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام . قال أصحابنا وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام ، لأن التعزية تبكّن قلب المساب ، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا . وقال أبو العباس من أصحابنا : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى ابدأ وان طال الزمان . قال النووي رحمه الله . والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين استثناهما أصحابنا ، وهما اذا كان المعزي أو صاحب المعصية عائلاً حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دقنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزءاً ، فان رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعني ان يجتمع أهل الميت في بيت ليقتصد من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روينا في الصحيحين عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه ونخبره أن ابناً لها في الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « ارجع إليها فأخبرها ان الله ما أخذ وله ما أعطي ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فرها فلتصبر ولتحتسب ، وذكر تمام الحديث . قال النووي رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الاسلام المشتملة على صباهات كثيرة من أصول الدين وفروعه والاداب ، والصبر على النوازل كلها ، والهموم والأسقام ، وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله ﷺ : « ان الله ما أخذ » ان العالم كله ملك لله ، لم يأخذ ما هو لكم بل هو أخذ ما هو له عندكم في معنى الغارية وقوله : « وله ما أعطي » .

ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه ، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلا تجزعوا فان من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فحال تأخيرهُ أو تقديمه عنه ، فاذا علمت هذا كسله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم . والله أعلم .

وعن^(١) معاوية بن أبيس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ : انه فقد رجلاً من أصحابه فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله ابنه الذي رأيت هلك ، فلقبه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره انه هلك ، فعزاه عليه ثم قال : يا فلان « إما كان أحب اليك ان تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك اليه يفتحه لك ؟ فقال : يا نبي الله يسبقني إلى الجنة يفتحها لي وهو أحب إلي . قال : فذلك لك . فقيل : يا رسول الله هذالهُ خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال « بل للمسلمين عامة » وعن أبي موسى^(٢) عن النبي ﷺ انه خرج الى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكي فقال لها : « يا أمة الله إتقي الله واصبري » . قالت : يا عبد الله إني أنا الحرة الشكلى . قال : « يا أمة الله إتقي الله واصبري » . قالت : يا عبد الله لو كنت مصاباً عذرتني قال : « يا أمة الله إتقي الله وأصبري » . قالت : يا عبد الله قد اسمعتني فانصرف . قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ ، وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها . ما قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها : أتعرفينه ؟ قالت : لا والله . قال : ويحك ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسمي حتى أدركته ، فقالت : يا رسول الله أصبر . قال (انما الصبر عند الصدمة الأولى) أي انما يحمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً . وفي صحيح مسلم : مات ابن

(١) رواه احمد ورجال الصريح والنسائي وابن حبان في صحيحه باختصار (ترغيب)
(٢) رواه ابو يعلى في مسنده مسن حديث ابي هريرة وابي موسى وفي مسنده بعكر بن الأسود الناجي وهو ضعيف قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ، وأصلهُ في الصحيحين من حديث أنس مختصراً وصحابتُهُ ابي هريرة لا أبو موسى كما في الهيثمي وقتسح الباري في شرح حديث أنس « انما الصبر عند الصدمة الأولى » في كتاب الجنائز في صحيح البخاري .

لأبي صلحة من أم سليم ، فقالت لأهله : لا تحذثوا أبا طلحة حتى أكون أنا احدته ، فجاء ابو طلحة فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت انه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو ان قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيتٍ فطلبوا عاريتهم لهم أنت ينعموم ؟ قال لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك . قال : فغضب ابو طلحة ، فقال : تركتني حتى اذا تلطخت اخبرتني بابني ، والله لا تغليبي على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : «بارك الله لكما في ليلتكما» . فذكر الحديث . وفي الحديث (١) : «ما أعطي احداً عطاء خيراً وأوسع من الصبر» . وقال علي رضي الله عنه للاشعث بن قيس : إنك ان صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم . وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : انك قد ذهب منك ما رزئت به فلا يذهبن عنك ما عرضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم ان يمر الزمان يسلي المصاب ، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعي رضي الله عنه ان عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فخرج عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً ، فبعت الية الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، وأعلم ان امضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمع مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظهك يا أخي إذا قرب منك قبل ان تطلبه وقد نأى عنك ، ألمك الله عند المصائب صبراً واحمرر لنا ولك بالصبر اجراً ، وكتب اليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزي بيساق بعد ميتة ولا المعزي ولو عاشا الى حين

(١) رواه البخاري ، ضمن حديث طويل (ترغيب) .

وكتب رجل إلى بعض اخوانه يعزیه بابه : اما بعد فان الولد على والده ما عاش حزن وفتنه ، فاذا قدمه فصلاة ورحمة ، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته

وقال موسى بن المهدي لابراهيم بن سمة وعزاه بانه : أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنتك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزى رجل رجلاً فقال : ان من كان لك في الآخرة أجراً خيراً ممن كان في الدنيا سروراً وفرحاً .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنها انه دفن ابناً له ثم ضحك عند القبر ، فقيل له : أتضحك عند القبر ؟ فقال : اردت أن ارغمم الشيطان . وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو اليهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر اليه : اني أعلم خير خلة فيك ، قيل وما هي ؟ قال : يموت فأحتسبه .

وعن الحسن البصري رحمه الله : ان رجلاً حزن على ولد له وشكا ذلك اليه فقال الحسن كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم كان غيبته أكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائباً فانه لم يقب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه . فقال : يا أبا سعيد هونت علي وجددي علي إبني .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجهه فقال : يا بني كيف تجمدك ؟ قال : أجدني في الحق . قال : يا بني لان تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك . قال : يا أبت لان يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب .

ومات ابن الامام الشافعي فانشد يقول :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت في رحل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يسكه أحد وهو شيخ
كبير ولم يدع ورده تلك الليلة . الا إنه قال : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا)
وتمثل بهذه الأبيات .

لعمري ما أهويت كفتي لربة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أنني لم تصني مصيبة من الدهر الا قد أصابت فوق قبلي

وقال رضي الله عنه : اللهم ان كنت ابتليت فقد عافيت ، وان كنت أخذت
فقد أبقيت ، أخذت عضواً وأبقيت انضاء وأخذت إبناً وأبقيت أبناء .

وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بني عبس فسأله عن عينيه
فقال : بت ليلة في بطن واد ولم أعلم في الأرض عبساً يزيد ماله على مالي ، فطرقنا
سيل فذهب ما كان لي من مال وأهل وولد غير بعير وصبي ، وكان البعير صعباً
فند (أي شرد) فاتبعته ، فما جاوزت الصبي إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت
فاذا رأس الصبي في بطنه فقتله ، ثم اتبعت البعير لاخذه فنفتحي برجله فأصاب
وجهي فحطمه وأذهب عيني : فأصبحت لا أهل لي ولا مال ولا ولد ولا بعير .
فقال الوليد : انطلقوا به إلى عروة ليعلم ان في الأرض من هو أشد منه بلاء .

وذكر ان عثمان رضي الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته :
لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، اللهم اني استعين بك عليهم ،
واستعينك على جميع أموري ، وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

وقال المدائني : رأيت بالبادية امرأة لم أرجلها أنضر منها ولا أحسن وجهها
منها ، فقلت : تالله ان فعل هذا بك الاعتدال والسرور ، فقالت : كلا والله اني
لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لي زوج ، وكان لي منه إبنان ، فذبح
أبوهم شاة في يوم الأضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر : أريد ان
أريك كيف ذبح أبي الشاة قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر الى الدم جزع ففزع

نحو الجبل فأكله الذئب ، فخرج أبوه في طلبه فتساء أبوه فمات عطشاً فأفردني الدهر . فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحاً فاندمل .

وعن^(١) ابن عباس رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان له فرطان^(٢) من أمي دخل الجنة » يعني ولدين .

قالت عائشة رضي الله عنها : بأبي أنت وأمي فمن كان له فرط ؟ قال ﷺ : « ومن كان له فرط يا موفقة » . قلت : فمن لم يكن له فرط من أمته ؟ قال إذا فرط أمي لم يصابوا بمثلي .

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه عن أبيه^(٣) قال : قال رسول الله ﷺ : « من قدم ثلاثة من الولد لم ييلفوا الحنث كانوا له حصناً من النار » . فقال أبو الدرداء : قدمت اثنين ، قال : (واثنين) : قال أبي بن كعب سيد القراء قدمت واحداً . قال ﷺ : (وواحداً ولكن ذلك في أول صدمة) . وعن وكيع قال : كان لإبراهيم الحري ابن وكان له عشرة سنة قد حفظ القرآن وتفقّه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً ، مات فجئت أعزبه قال لي : كنت اشتهي موت ابني هذا . قلت : يا أبا اسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا ؟ قد ألحج وحفظ القرآن وتفقّه الفقه والحديث . قال : نعم رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكان صبياناً في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يوم حار شديد حره ، قال ، فقلت لأحدم : اسقني من هذا الماء . قال : فنظر إلي ، وقال لي : ليس أنت أبي : فقلت : ومن أنتم ؟ نحن الصبيان الذين متنا في الإسلام وخلقنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلماذا تمنيت موته .

(١) الترمذي وقال حسن غريب (تروغيب) .

(٢) الفرط بفتح الفاء وبالراء . الذي مات قبل البلوغ ذكراً كان أو أنثى وجمعه افراط (منذري) .

(٣) أبو عبدالله بن مسعود والحديث أخرجه ابن ماجه وأشار المنذري إلى ضعفه وليس في آخره قوله « ولكن ذلك في أول صدمة » .

وروى مسلم عن أبي حنن قال ، قلت لأبي هريرة رضي الله عنه حدثنا
بحدِيث تطيب به أنفسنا عن موتانا ، قال : نعم ، صغارهم دعاميص^(١) الجنة
يتلقى أحدهم أباه أو قال أبايه ، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهي حتى
يدخله الجنة .

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال : كنت في أول أمري مكباً على
اللهم وشرب الخمر ، فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لي بنتاً فأحببتها حباً
شديداً ، إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني
عليه فأهرقته بين يدي ، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكدني حزنها . قال :
فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا مثل من الخمر ، فرأيت في النوم كأن
القيامة قد قامت وخرجت من قبري ، وإذا بتنين قد تبعتني يريد أكلي - والتنين
الحية العظيمة - قال : فهربت منه فتبعني ، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي
وأنا خائف منه ، فمررت في طريق علي شيخ نقي الثياب ضعيف ، فقلت ، يا شيخ
يا الله أجرتني من هذا التنين الذي يريد أكلي واهلاكي . فقال : يا ولدي أنا
شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به ، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن
ينجيك منه . قال : فأسعدت في الهرب وهو واثق ، فأشرفت على طبقات
النار وهي تقور ، فكنت أن أهوي فيها ، وإذا قائل يقول : لست من أهلي
فرجعت هارباً ، والتنين في أثري ، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات
وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه
عدوه . فتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرفت علي منها أطفال بوجوه كالآفان
وإذا ابنتي معهم ، فلما رأيتني نزلت إلى كفة من نور ، وضربت بيدها اليمنى إلى
التنين فولى هارباً ، وجلست في حجري وقالت يا أبت (ألم يأن للذين آمنوا أن

(١) دعاميص بفتح الدال : جمع دحوص بضمها دوية صغيرة يضرب لونها إلى السواد تكون
في العذرات إذا نشفت شبه بها الطفل في الجنة لصغر سنه ومرهنة حركته ، وقيل : اسم للرجل
الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على أذني منهم ولا يخاف أن ذهب من ديارهم ، شبه
به الطفل لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء ، لا يمنع من بيت فيها ولا موضع (تروغيب) .

تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) . فقلت : يا بنية وأنتم تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت : يا بنية ما تصنعون هنا ؟ قالت : نحن من مات من اطفال المسلمين أسكننا هنا الى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا . فقلت : يا بنية ما هذا التين الذي يطاردني ويريد اهلاكي ؟ قالت : يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد اهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيت ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب الى الله ولا تكن من المهالكين ، قال ثم ارتفعت عني واستيقظت فتبت الى الله من ساعتي .

فانظر رحمك الله الى بركة الذرية اذا ماثوا صفاراً ذكوراً كانوا أو اناثاً ، وانما يحصل للوالدين النفع بها في الآخرة اذا صبروا واحتسبوا وقالوا : الحمد لله إنا لله وإنا اليه راجعون ، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله) أي نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء (وإنا اليه راجعون) اقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبداً مصيبة الا باحدى خلتين ، اما بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بتلك المصيبة . أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها الا بتلك المصيبة .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأتبياء قبلهم (إنا لله وإنا اليه راجعون) ، ولو أعطيت الأتبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول (يا أسفي على يوسف) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال عند المصيبة (إنا لله وإنا اليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها الا أجره الله وأخلفه خيراً منها » . قالت : فلما توفي ابو سلمة قالت : من خير من أبي سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفني الله رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

وعن الشعبي أن شريحاً قال : اني لاصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات :

أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني . وقوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلوات من الله الرحمة والمغفرة (وأولئك هم المهتدون) يريد الذين اهتموا للترجيح وقيل الى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : نعم العبدلان ونعم العلاوة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) نعم العبدلان (وأولئك هم المهتدون) نعم العلاوة .

وأما اذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور ، او لطم خدأ ، او شق جيباً ، او نشر شعراً أو حلقة او قطعه او نتفه ، فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلاً كان او امرأة .

وقد روي أيضاً ان الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر ، وقد روي ان من اصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خدأ أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما رحماً يريد أن يحارب ربه . وقد تقدم ان الله عز وجل لا يعذب بكاء العين ولا يجزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه ، يعني من التذب والنياحة . وقد تقدم ان الميت يعذب في قبره بما نوح عليه اذا قالت النائحة : وأعضداه ، واناصراه ، واكاسياه ، جبد الميت وقيل له أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر ، وفيه مخالفة التسليم للقضاء ، والاذعان لأمر الله تعالى .

حكاية : قال صالح المري : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت ، واذا بالقبور قد شقت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقاً حلقاً ، ونزلت عليهم أطباق مغطية ، واذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم . قال : فتقدمت اليه وقلت يا شاب . ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال : يا صالح بالله عليك بلغ ما أمرك به وأد الامانة وارحم غريبي ، لعل الله عز وجل ان يجعل لي على يديك مخرجاً : اني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن علي

ويُحن كل يوم ، فأنا معذب بذلك ، النار عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي
لسوء مقال أمي ، فلا جزاها الله عني خيراً ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال :
يا صالح بالله عليك اذهب اليها فهي في المكان الفلاني وعلم لي المكان ، وقل لها لم
تعذبي ولدك يا أمساء ، ربيتني ومن الاسواء وقيتني ، فلما مت في العذاب
رمتني .

يا اماء لو رأيتيني : الأغلال في عنقي والقييد في قدمي ، وملائكة العذاب
تضربني وتنهريني ، فلو رأيت سوء حالي لرحتيني ، وإن لم تتركي ما انت عليه من
التدب والنياحة ، الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ، ويبرز الخلائق لفصل
القضاء . قال صالح : فاستيقظت فزعاً ، ومكنت في مكاني قلقاً الى الفجر فلما
اصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم الا الدار التي لأم الصبي الشاب ، فاستدلت
عليها فأتيتها ، فإذا بالباب مسود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار .
فطرقت الباب فخرجت إلي عجوز ، فقالت : ما تريد يا هذا ؟ فقلت : أريد أم
الشاب الذي مات فقالت : وما تصنع بها هي مشغولة بجزئها . فقلت : أرسلها
إلي ، معي رسالة من ولدها . فدخلت فأخبرتها ، فخرجت أم وعليها ثياب سود
ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم ، فقالت لي : من انت ؟ قلت : انا صالح
المرى جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا ، رأيتك في العذاب وهو
يقول : يا أمي ربيتني ومن الأسواء وقيتني ، فلما مت في العذاب رمتيني ، وإن
لم تتركي ما انت عليه الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء . فلما سمعت ذلك
غشى عليها وسقطت الى الارض ، فلما أفاق بكى بكاء شديداً ، وقالت : يا
ولدي يمز علي ، ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت ، وانا ثابتة الى الله تعالى من
ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب ، وأخرجت إلي
كيساً فيه دراهم كثيرة ، وقالت : يا صالح تصدق بهذه عن ولدي . قال صالح :
فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدققت عن ولدها بتلك الدراهم ، فلما كانت
ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت ، فرأيت اهل القبور قد خرجوا
من قبورهم وجلسوا على عادتهم ، وأتتهم الأطباق ، وإذا ذاك الشاب ضاحك فرح

مسرور فجهاه أيضاً طبق فأخذه ، فلما رأيته جاء إلي فقال : يا صالح جزاك الله عني خيراً ، خفف الله عني العذاب ، وذلك بترك أمي ما كانت تفعل ، وجاءني ما تصدقت به عني . قال صالح : فقلت وما هذه الأطباق ؟ فقال : هذه هدايا الأسياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان اليك فارجع إلى أمي واقربها مني السلام ، وقل لها جزاها الله عني خيراً ، قد وصل إلي ما تصدقت به عني وأنت عندي عن قريب فاستعدي . قال صالح : ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب . وإذا بنعش موضوع على الباب ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لأم الشاب ، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لها وانصرفت .

فَسأَلِ اللَّهَ أَنْ يَتَوَفَّاكَ مُسْلِمِينَ ، وَيَلْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ ، وَيَعصِمْنَا مِنَ النَّارِ . انه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

العكبرة المحسون : البغي

قال الله تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وقال النبي ﷺ (١) : « ان الله أوحى إلي ان تواضعوا حتى لا يبغى أحد على احد ولا يفخر احد على احد » رواه مسلم .

وفي الاثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منها دكاً .

وقال ﷺ (٢) : « ما من ذنب اجدر ان يجمل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » .

(١) ابو داود وابن ماجه من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه (توغيب) .
(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح الامتداد من حديث ابي بكر (توغيب) .

وقد خسف الله بقارون الارض حين بنى على قوميه ، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : (ان قارون كان من قوم موسى فبنى عليهم) الى قوله : (فخسفنا به وبداره الارض) الآية . قال ابن الجوزي رحمه الله : في بني قارون أقوال (أحدها) انه جعل البغية جملاً على ان تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت ، فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بنيه قاله ابن عباس ، (والثاني) انه بنى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك . (والثالث) بالكفر قاله قتادة ، (والرابع) انه اطال ثيابه شبراً قاله عطية الخراساني ، انه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني اسرائيل فظلمهم حكاه الماوردي .

قوله : (فخسفنا به وبداره الارض) الآية ، لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله اليه : اني قد أمرت الارض ان تطيعك فرها ، فقال موسى : يا ارض خذيه ، فأخذته حتى غيبت سريره . فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم ، فقال : يا ارض خذيه . فأخذته حتى غيبت قدميه ، فما زال يقول : يا ارض خذيه حتى غيبته . فأوحى الله اليه : يا موسى وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته ! قال ابن عباس فخسفت به الارض الى الارض السفلى . قال سمرة ابن جندب : انه كل يوم يخسف به قامة . قال مقاتل : فلما ملك قارون قال بنو اسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

(فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) اي يمنونه من الله (وما كان من المنتصرين) اي من المعتنمين بما أنزل به ، والله أعلم .

اللهم انك اذا قبلت سألتم ، واذا أعرضت أسلمت ، واذا وفقت أكلمت ، واذا خذلت إتهمت .

اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبليت عليه فأعرض عن سواك ، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين

الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة
على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى :

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا .

قال الواحدي : في قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) : أخبرنا
احمد بن محمد بن ابراهيم المهرجاني بإسناده عن^(١) معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :
كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال : يا معاذ ، قلت : لبيك وسعديك يا
رسول الله . قال : « هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ »
قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيئاً ، وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » .

وعن ابن مسعود^(٢) رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ اعرابي فقال : يا
نبي الله أوصني ، قال : « لا تشرك بالله شيئاً وان قطعت وحرقت ، ولا تدع
الصلاة لوقتها فانها ذمة الله ، ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر » .

(١) هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة ، ونقله المؤلف عن الواحدي
عن الضعاف والتاكير وهو على طرف النام في دواوين الاسلام الشهيرة .

(٢) ذكر المنذري في ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه حديث معاذ عند احمد
والطبراني ، قال : واستاد احمد صحيح لم سلم من الانقطاع بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير
ومعاذ فانه لم يسمع منه ، ومنها حديث عند الطبراني في الاوسط ولا بأس بإسناده في المتابعات ،
وحديث اميمة مولاته حتى عند الطبراني بسند فيه يزيد بن سنان الرهاوي ، وحديث ابي الدرداء
عند ابن ماجه والبيهقي بسند فيه شهر بن حوشب (ترغيب) .

قوله : (وبالوالدين احساناً) يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ، ولا يغلظ لهما الجواب ، ولا يحد النظر اليهما ، ولا يرفع صوته عليها ، بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذلاً لهما . قوله : (وبذي القربى) قال يصلهم ويتعطف عليهم ، (واليتامى) يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم ، (والمساكين) يبذل يسير ورد جليل ، (والجار ذي القربى) يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام ، (والجار الجنب) هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله ، وقوم أجنب والجنابة : البعد . عن عائشة^(١) رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « ان الجار ليعتقك بالجار يوم القيامة يقول : يا رب أوسعت علي أخي هذا واقترت علي ، أمسي طاوياً ويمسي هذا شمان ، ثم أغلق بابي عني وحرمني ما قد أوسعت به عليه . »

(والصاحب بالجنب) قال ابن عباس ومجاهد : هو الرفيق في السفر له حق الجوار وحق الصحبة . (وابن السبيل) : هو الضعيف يجب إقراؤه إلى ان يبلغ حيث يريد ، وقال ابن عباس : هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك . (وما ملكت أيمانكم) : يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطيء . قوله : (ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) ، قال ابن عباس : يريد بالختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله ، والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل شاب من كان قبلكم يمشي في حلة مختالاً فخوراً إذ ابتلعت الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة . » وعن أسامة قال : سمعت

(١) رواه ابو داود وابن ماجه من حديث عائشة ورواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن عمر ، ورواه احمد بإسناد جيد رواه رواة الصحيح من حديث رجل من الانصار (ترويض) .

ابن عمر يقول (١) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من جرت ثوبه خيلاً . لم ينظر الله اليه يوم القيامة » هذا ما ذكره الواحدي .

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة ، وبالأحسان إلى المملوك ، ويقول : الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم (٢) .

وفي الحديث : « حسن الملكة بين وسوء الملكة شؤم » وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة سيء الملكة » (٣) .

قال أبو مسعود رضي الله عنه : كنت أضرب مملوكاً لي بالسوط فسمعت صوتاً من ورائي « اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » قال ، قلت : يا رسول الله لا أضرب مملوكاً لي بعده ابداً . وفي رواية سقط السوط من يدي من هيبه رسول الله ﷺ ، وفي رواية : فقلت هو حر لوجه الله ، فقال : « اما انك لو لم تفعل للفتحك النار يوم القيامة » ، رواه مسلم . وروى مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضرب غلاماً له حد أو لم يأت به أو لطمه فكفارته ان يعتقه » ، ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » .

وفي الحديث (٤) « من ضرب بسوط ظمناً اقتص منه يوم القيامة » وقيل (٥) رسول الله ﷺ كم نعفر عن الخادم ؟ « قال : في اليوم سبعين مرة » .

وكان (٦) في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فابطأ عليه فقال : « لولا

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن بعض بني رافع بن مكيب عنه ولم يسمه منه ، ورواه أبو

داود عن الحارث بن رافع بن مكيب عن النبي مرسل (ترغيب) .

(٤) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن (ترغيب) .

(٥) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب ، في بعض النسخ الترمذي حسن صحيح

من حديث عبد الله بن عمر (ترغيب) .

(٦) رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني كلاماً من حديث أم سلمة .

القصاص لضربتك بهذا السواك ، وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرقع يوماً عليها السوط فقال : لولا القصاص لأغشيتك به ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك ، اذهبي فأنت حرة لوجه الله .

وجاءت (١) امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله اني قلت لأمتي يا زانية ، قال . وهل رأيت عليها ذلك ؟ قالت : لا . أما أنها ستستقيد منك يوم القيامة فرجعت إلى جاريتها فأعطتها سوطاً ، وقالت : أجليني . فأبت الجارية فأعتقتها ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعتقتها فقال : « عسى ، أي عسى أن يكفر عتقك لها ما قدفتها به .

وفي الصحيحين (٢) ان رسول الله ﷺ قال : « من قذف بموكة وهو برىء ، ما قاله جلد يوم القيامة حداً إلا ان يكون كما قال . وفي الحديث (٣) « للموكة طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق » ، وكان (٤) ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول : « الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم ، أطمعوم بما تأكلون واكسوم بما تكتسون ، ولا تكلفوم من العمل ما لا يطيقون ، فان كلفتموم فأعينوم ولا تعذبوا خلق الله ، فانه ملككم ايام ولو شاء لملكهم ايامك » .

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعبثون عبثاً ، فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضي الله عنه : انا

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ، وتعبه المنذري بأن فيه الملك بن هرون متروك : ان عبدالله بن عمرو بن العاص زار عمة له فقذفت جاريتها الخ . . بنحو ما هنا .
(٢) من حديث أبي هريرة وكذا روايات ، وقال حديث حسن صحيح (توغيب) .
(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة - وزاد ابن حبان في صحيحه وقال « كلفتموم فأعينوم ولا تعذبوا عباد الله خلقاً أمثالكم » (توغيب) .
(٤) روى الطبراني نحوه من حديث زييد بن حارثة وفي سنده عاصم بن عبد الله مشاهير بعضهم وصحح له الترمذي والحاكم ولا يضر في التتابعات (التوغيب) وله شاهد من حديث علي عند أبي داود ، وعن أم سلمة عند ابن ماجه بسند ضعيف ، ومن حديث كعب بن مالك عند الطبراني من طريق عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد وقد وثقه ولا بأس بهما في التتابعات .

أرسلناها في عمل فكرهننا أن نجمع عليها عملاً آخر . وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك ، فاذا عصى الله فاضربه على معصية الله وذكره الذنوب التي بينك وبينه .

(فصل) ومن أعظم الاساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده ، أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبي ﷺ انه قال : من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أخيه يوم القيامة . قال علي كرم الله وجهه : وهب لي رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعث أحدهما ، فقال رسول الله ﷺ : « رده رده » . ومن ذلك ان يجوع المملوك والجارية والدابة . يقول (١) رسول الله ﷺ « كفى بالمرء اثماً ان يحبس عن يملك قوته » ، ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً وجيعاً أو يجلسها ولا يقوم بكفائتها ، أو يحملها فوق طاقتها فقد روي في تفسير قول الله تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) الآية قيل : يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضي بينهم ، حتى انه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء حتى يقاد للذرة من الذرة ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً ، فهناك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً . وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها . وبين بني آدم ، حتى ان الانسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فانها تقبض منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعاً لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » أي من حشراتنا . وفي الصحيح (٢) انه ﷺ رأى امرأة معلقة في النار والهزة تحدشها في وجهها

(١) رواه الترمذي من حديث ابي ايوب وقال حديث حسن غريب والداوقطي ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٢) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو (ترغيب) .

(٣) رواه للبخاري في صحيحه من حديث اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما (ترغيب) .

وصدرها وهي تعذبها كما عذبتها في الدنيا بالحبس والجوع ، وهذا عام في سائر
الحيوان ، وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت في
الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرها ،
فقال : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للمحراث . فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا
تدافع عن نفسها بانها لا تؤذى ولا تستعمل في غير ما خلقت له ، فمن كلفها غير
طاقتها أو ضرها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الداراني : ركب مرة حماراً فضرته مرتين أو ثلاثاً ،
فرفع رأسه ونظر إلي وقال يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فان
شئت فأقلل وان شئت فأكثر : قال : فقلت لا أضرب شيئاً بعده أبداً .
ومر ابن عمر^(١) بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا
لصاحبه كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال من فعل هذا ؟
لئن الله من فعل هذا ان رسول الله ﷺ لئن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً .
والغرض كالمهدف وما يرمى اليه . ونهى رسول الله ﷺ ان تضرب البهائم يعني أن
تحبس للقتل ، وان كان مما اذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب
العقور ، قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام^(٢) « إذا قتلت
فاحسنوا القتل وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .
وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح^(٣) ان رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم من حديث ابن عمر .

(٢) رواه مسلم والترمذي في جامعه من حديث شداد بن أوس وقال حديث حسن صحيح
كذا في الأطراف للبرقي ، وقال في المنتقى رواه احمد ومسلم والنسائي .

(٣) يعني صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ، ويشيد كلام المسقلاي في الفتح أنه في
الترمذي وأبي داود والرجلان المكني عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الاسود ورفيقه نخاسا بغير
زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت هجرتها من مكة بمسد غزوة بدر فسقطت عن
واحلها ومرضت والقصة مشهورة في ابن اسحق ، افاده المسقلاي في شرح الحديث من كتاب
الجهاد من الفتح .

قال « اني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار ، وان النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموها فاقتلوهما .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله ﷺ في سفره فانطلق لحاجته فرأينا حرة^(١) معها فرخان فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجمعت ترغرف ، فجاء النبي ﷺ وقال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها » ، ورأى رسول الله ﷺ قرية نخل - أي مكان نخل - قد احرقناها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « انه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار الا ربها » . وفيه من النهي عن القتل والتعذيب بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما .
(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روي^(٢) عن النبي ﷺ انه قال : « من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة ، وقال : يا رب سل هذا لِمَ قتلني عبثاً ولم يقتلني لنفعة ؟ » .

ويكره صيد الطير أيام فرائخه لما روي ذلك في الأثر ، ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه لما روي عن ابراهيم بن آدم رحمه الله ، قال : ذبح رجل عجلاً بين يدي أمه فأبى الله يده .

(فصل) في فضل عتق المملوك . عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يمتق فرجه بفرجه » أخرجه البخاري .

وعن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً كان فكاكاً له من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه ، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكاً من النار يجزى كل عضوين منها عضواً منه ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة الا كانت فكاكاً من النار يجزى كل عضو منها » رواه الترمذي وصححه .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

(١) رواه ابو داود في سننه من حديث عبد الله بن مسعود ، والحرة : طائر صغير كالمصطور .

(٢) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الشريد رضي الله عنه .

الكبيرة الثانية والخمسون ، اذى الجار

ثبت في الصحيحين^(١) ان رسول الله ﷺ قال : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن بالله لا يؤمن قيل من يا رسول الله ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه » . أي غوائله وشروبه ، وفي رواية^(٢) : « لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه » . وسئل^(٣) رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : « ان تجعل لله نداً وهو خلقك » ، وان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، وان تزني بحليلة جارك » . وفي الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » . والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة ، وجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام . والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر^(٤) رضي الله عنها له جار يهودي ، فكان إذا ذبح الشاة يقول : احموا إلى جارنا اليهودي منها . وروي^(٥) ان الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ، ويقول : يا رب سل هذا لم تمنعني معروفه واغلق عني بابه .

وينبغي للجار أن يحمل اذى الجار ، فهو من جملة الاحسان اليه . جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله علي عمل إذا قت به دخلت الجنة . فقال :

(١) من حديث ابي هريرة وكذا احمد وزاد قالوا يا رسول الله وما بوائقه ؟ قال « شره » (ترغيب)

(٢) هي لمسلم من رواية ابي هريرة .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه . والحليلة بنتح الحاء المهمة هي الزوجة (ترغيب) .

(٤) رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة وبقيته في أكرام الضيف والسكرت إلا عن خير .

(٥) رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، وقال في آخره : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت ان سيورته » . قال (النادري)

وقد روي هذا المتن - يعني المرفوع - من طرق كثيرة ومن جماعة كثيرة من الصحابة (ترغيب)

(٦) رواه الاصبهاني في (الترغيب والترهيب) عن حديث ابن عمر وأشار النذري إلى ضعفه

كن محسناً ، ، فقال : يا رسول الله كيف أعلم اني محسن ؟ قال : « سل جيرانك فان قالوا انك محسن فأنت محسن ، وان قالوا انك مسيء فأنت مسيء » ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة ، وجاء (١) عن النبي ﷺ انه قال : « من أغلق بابيه عن جاره غفافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » . وقيل : (٢) لأن يزني الرجل بمشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره ، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره . وفي سنن أبي داود من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له « اذهب فاصبر » ، فأناه مرتين أو ثلاثاً ثم « قال اذهب فاطرح متاعك على الطريق » ففعل ، فجعل الناس يبرون به ، ويسألون عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره ، فجعلوا يلتمنون جاره ويقولون : فعل الله به وقمل ويدعون عليه ، فجاء اليه جاره وقال : يا أخي ارجع إلى منزلك فانك لن ترى ما تكره ابداً .

وأن يحتمل أذى جاره وان كان ذمياً ، فقد روي عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انه كان له جار ذمي ، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بنشق ، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط

(١) رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عمرو بن شبيب عن ابيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته : « اندري ما حق الجار ؟ اذا استمانك أعنته ، واذا استقرضك اقرضته ، واذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير فأناته ، واذا أصابته مصيبة عزيتة ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبيان فتعجب منه الريح إلا بأذنه ، ولا تؤذ به بقتار ريح قدرك إلا أن تعرف له منها ، وان اشتريت فأكفه قاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليخطبها ولده » قال (التندري) : ولعل قوله « اندري ما حق الجار الخ » من كلام الرازي غير مرقوع ، والحديث على كل اثار التندري إلى ضعفه بقوله في أوله وروي وهي إحدى علامات الضعف عنده وسكت عليهما في آخره وهي العلامة الثانية للضعف الشامل للوضع .

(٢) رواه أحمد وروواته ثقات والطبراني في الكبير والوسط مسن حديث المقداد بن الأسود (تروغيب) .

فيه من كنيف الجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فكثت رحمة الله على هذه الحال زماناً طويلاً الى أن حضرت سهلاً الوفاة ، فاستدعى جاره الجوسي وقال له : ادخل ذلك البيت وأنظر ما فيه ، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة ، فقال ما هذا الذي أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ، ولولا أنه حضرني أجلي ، وأنا أخاف أن لا تتسع اخلاق غيري لذلك والام لم أخبرك فافعل ما ترى ، فقال الجوسي : أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله ان يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، وأن يحسن عاقبتنا انه جواد كريم رؤوف رحيم .

الكبيرة الثالثة والخمسون : اذى المسلمين وشتيمهم

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا
اَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) وقال تعالى (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا
تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِشَرِّ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَّسِبْ فَأُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ الظَّالِمِينَ) وقال تعالى
(وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) .

وقال ﷺ: (١) « ان من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه » . وقال ﷺ: « عباد الله ان الله وضع الحرج الا من افترض بعرض أخيه فذلك الذي حرج أو ملك » .

وفي الحديث « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام (٣) « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » وفيه (٤) أيضاً « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله ان فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها فقال: « لا خير فيها هي في النار » صححه الحاكم (٥) . وفي الحديث (٦) أيضاً : « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » وقال (٧) رسول الله ﷺ « من دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » . وقال (٨) عليه الصلاة والسلام : « مرت ليسة أسرى بي يقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » .

(فصل) في الترهيب من الافساد والتخريب بسين المؤمنين وبين البهائم والدواب: صح عن النبي ﷺ انه قال: « ان الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون

-
- (١) متفق عليه من حديث عائشة ولفظه للبخاري في كتاب الادب من صحيحه .
 - (٢) رواه مسلم والترمذي من حديث لابي هريرة (ترغيب) .
 - (٣) رواه مسلم وغيره عن ابي هريرة (ترغيب) .
 - (٤) متفق عليه من حديث ابن مسعود قاله العراقي في تحريج الاحياء .
 - (٥) وابن حبان وأحمد والبخاري .
 - (٦) صححه الحاكم قاله المصنف في رسالته الصخرى .
 - (٧) رواه البخاري ومسلم من حديث لابي ذر ومعنى « حار » رجع (ترغيب) .
 - (٨) رواه ابو داود من حديث أنس ، وذكر أن بعضهم رواه مرسلاً (ترغيب) وقال العراقي والمسنند أصح .

في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم « ، فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس ، كما قال النبي ﷺ « ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « شراركم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبراء العنت ، والعنت المشقة . وصح (٢) عن رسول الله ﷺ انه قال : « لا يدخل الجنة نمام » ، والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين بما يؤذي أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له : قال عنك فلان كذا وكذا وفعل كذا وكذا ، إلا ان يكون في ذلك مصلحة أو فائدة ، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب . واما التحريش بين البهائم والدواب والطيور وغيرها ، فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله . ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها ، والعبد على سيده . لما روى (٣) ان رسول الله ﷺ قال : « ملعون من خيب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده » نعوذ بالله من ذلك .

(فصل) في الترغيب في الإصلاح بين الناس ، قال الله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) . قال مجاهد : هذه الآية عامة بين الناس ، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير ، وهو قوله (إلا من أمر بصدقة) ثم حذف المضاف (أو معروف) ، قال ابن عباس : بصلة الرحم وبطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها . قوله تعالى : (أو إصلاح بين الناس)

-
- (١) رواه احمد من حديث عبد الرحمن بن غنم وفي سنده شهر بن حوشب فيه كلام معروف ربيعة رجاله محتج بهم في الصحيح (ترغيب) .
(٢) متفق عليه من حديث حذيفة (عراقي) .
(٣) رواه أبو دارد بلفظ « ليس منا من خيب » الخ من حديث أبي هريرة ، والنسائي وابن حبان وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبخاري ، ابن حبان ومن حديث جابر عند مسلم ، ومعنى خيب : خدع وأفسد (ترغيب) .

هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الانصاري (١) ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم قال : بلى يا رسول الله . قال : تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا ، وروى أم حبيبة (٢) رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال : « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا ما كان من أمر معروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله » .

وروي ان رجلاً قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث ، قال سفيان : ألم تسمع الى قول الله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف) الآية . فهذا هو بعينه .

ثم علم سبحانه ان ذلك انما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال الله تعالى : (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرأ عظيماً) أي ثواباً لا حد له .

وفي الحديث « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » رواه البخاري . وقالت أم كلثوم (٣) . ولم أسمع من النبي ﷺ يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاثة أشياء : في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها . وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في اناس معه من أصحابه رواه البخاري .

وعن ابي هريرة (٤) رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « ما عمل شيء أفضل من مشي إلى الصلاة أو اصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين »

(١) رواه البزار والطبراني من حديث أنس ، وأشار (الترغيب) إلى ضعفه اذ صدره بلفظ روى وسكت عليه في آخره وذلك علامة الضعف عنده .

(٢) رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا والترمذي وقال غريب لا يعرف إلا من حديث محمد بن يزيد بن حنيس . قال المنذري : ورواه ثلاث وفي محمد بن يزيد كلام قريب وهو لا يقسح وهو شيخ صالح (ترغيب) .

(٣) رواه مسلم من حديثها (المراقي) .

(٤) رواه الاصبهاني وأشار المنذري إلى ضعفه .

وقال (١) رسول الله ﷺ : « من أصلح بين اثنين أصلح الله امره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه » . وبالله التوفيق .
اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بمغفوك يا ارحم الراحمين .

الكبيرة الرابعة والخمسون اذية عياد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)
وقال الله تعالى (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

وعن ابي هريرة (٢) رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالى
قال : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » ، وفي رواية : فقد أدرزني
بالمحاربة أي أعلته أنني محارب له . وفي الحديث ان أبا سفيان أتى على سلمان
وصهيب وبلال في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال
ابو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدم ؟ فأتى النبي ﷺ
فأخبره ، فقال : يا أبا بكر لملك أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك . فأناهم أبو بكر
رضي الله عنه فقال : يا أخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي .
وقولهم مأخذها : أي لم تستوف حقها منه .

(فصل) في قوله تعالى :

(وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) .

(١) رواه الاصبهاني من حديث أنس وهو حديث غريب جداً (المنذري) .

(٢) رواه البخاري وفي نسخة خالد بن محمد القطراني .

الآيات . وهذه الآيات في تفضيل الفقراء ، وسبب نزولها ان النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء ، وكذلك كل نبي أرسل أول من آمن به الفقراء ، فكانت رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضي الله عنهم ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا ان علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء ، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد اطردهم الفقراء عنك ، فان نفوسنا تأنف أن تجالسهم ، فلو طردتهم عنك لا من بك أشرف الناس ورؤسائهم فأنزل الله تعالى :

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) .

فلما أيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً فأنزل الله تعالى :

(وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) .

أي لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة ابناء الدنيا .

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ إِن شَاءَ فَلْيُؤْمِنُوا وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرُوا) .

ثم ضرب لهم مثل الغني والفقير بقوله (واضرب لهم مثلاً رجلين) (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم .

ولما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة هاجروا معه فكانوا في صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمي اليهم من يهاجر من فقراء

حتى كثروا رضي الله عنهم . هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأولياؤه من الاحسان وعابنوه بنور الايمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان بل قالوا : إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك تهتدي ونسترشد ، وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح ، وفي ميدان ودك نرتع ونسرح ولك نعمل ونكسح وعن بابك أبدأ لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سيده وخاطب فيهم رسوله فقال : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة) الآية ، أي : ولا تطرد قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون ، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون . لا تطرد قوماً المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس أدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحياة دنائهم . ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم في محاريب نجومهم ، فالفقر عام وبخاص ، فالعام الحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الآية ، والخاص وصف أولياء الله وأحبابه خلو اليبدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها ، اشتغالا بالله عز وجل وشوقاً اليه ، وأنساً بالفراغ والحلوة مع الله عز وجل .

اللهم أدقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، واغفر لنا ولوالدينا والمسلمين . .

الكبيرة الخامسة والخمسون : اسبال الازار والثوب
واللباس والسراويل تعزراً وعجباً وفخراً وخيلاء

قال الله تعالى :

(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ) .

وقال^(١) النبي ﷺ : « ما أسفل من الكعبين من الأزار فهو في النار »
 وقال^(٢) عليه الصلاة والسلام : « لا ينظر الله إلى من جر أزاره بطراً » . وقال^(٣)
 عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا
 يزكهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمتفق سلعته بالحلف الكاذب » .
 وفي الحديث أيضاً : « بيننا رجل يمشي في حلة تمجبه نفسه مرجل رأسه يختال
 في مشيه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .
 وقال عليه الصلاة والسلام^(٤) : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم
 القيامة » ، وقال^(٥) ﷺ : « الأسباب في الأزار والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم
 ينظر الله إليه يوم القيامة » .

وقال عليه^(٦) الصلاة والسلام : « ازرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج
 عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار » .
 وهذا عام في البراويل والثوب والحبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس .
 فنسأل الله العافية ، وعن^(٧) أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بينا رجل يصلي
 مسبلاً، أزاره قال له رسول الله : اذهب فتوضأ ، ثم جاء فقال اذهب فتوضأ فقال

-
- (١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (التَّرْغِيب) .
 (٢) رَوَاهُ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بَلَقْتُ :
 « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا » وَلَهُ شَاهِدٌ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عِنْدَ
 مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَابْنِ حِبَّانَ وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي
 شَيْبَةَ وَابْنِ مَاجَةَ (التَّرْغِيب) .
 (٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 وَالْمَسْبِلُ : يَطْوِي ثَوْبَهُ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ كَأَنَّهُ يَفْعَلُهُ تَجْبِيراً وَخِيَلًا (تَرْغِيب) .
 (٤) تَقَدَّمَ أَنَّهُ رَوَاهُ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ .
 (٥) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَفِي سَنَدِهِ عُبَيْدُ الْعَزِيزُ بْنُ أَبِي
 دَاوُدَ وَالْجَهْوَرِيُّ عَلَى تَوْثِيقِهِ (تَرْغِيب) .
 (٦) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَشَاهَدَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَرَوَاهُ رِوَاةً
 الصَّحِيحَ (التَّرْغِيب) .
 (٧) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَفِي سَنَدِهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ قَالَ التَّنْزِيحِيُّ : إِنْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ فَرَوَيْتَهُ
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرَّةً وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ فَلَا أَعْرِفُهُ (تَرْغِيب) .

له رجل يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه فقال : انه كان يصلي وهو مسبل ازاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً ازاره .

ولما قال ﷺ (١) : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ان ازارى يسترخي الا أن أتأمده ، فقال له رسول الله ﷺ : انك لست بمن يفعله خيلاء .

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .

العكبرة السائمة والخمسون لبس الحرير والذهب للرجال

في الصحيحين (٢) ان رسول الله ﷺ قال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وهذا عام في الجنود وغيرهم لقوله ﷺ (٣) : حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليها ، أخرجه البخاري .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر ، وانما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره ، وللمقاتلين عند لقاء العدو . وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام باجماع المسلمين ، سواء كان قباء أو قبطياً أو كلوثة وكذلك إذا كان الأثر حريراً كان حراماً ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال ، سواء كان خاتماً أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله . وقد

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي (المنذري) .

(٢) وكذا الترمذي والنسائي كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ترويض) .

(٣) ابو داود والنسائي من حديث علي رضي الله عنه بتسوية .

رأى النبي ﷺ^(١) في يد رجل خاتماً من ذهب فنزعه وقال : « يعمد أحدكم إلى جرة من نار فيجعلها في يده » ، وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز لباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون لمعوم قوله ﷺ^(٢) عن الحرير والذهب : « هذان حرام على ذكور أمتي حل لأنثهم » ، فدخل الصبي في النهي ، وهذا مذهب الامام أحمد وآخرين رحمهم الله .
فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد

روى مسلم في صحيحه^(٣) أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » وقال ﷺ^(٤) : « أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة » وروى^(٥) ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال ، قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الأبق حتى يرجع إلى مولاه ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو » . وعن^(٦) فضالة بن عبيد مرفوعاً : ثلاثة لا يسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى امامه وعبد أبق ومات عاصياً ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفأها المؤونة فتبرجت بعده - أي أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ .
كذا ذكره الواحدي رحمه الله .

(١) رواه مسلم من حديث ابن عباس .

(٢) تقدم أن حديث علي عند أبي داود واللساني .

(٣) من حديث جرير رضي الله عنه (الترغيب) .

(٤) رواه مسلم من حديث جرير أيضاً .

(٥) بسند فيه زهير بن محمد فيه كلام حين ورواه الطبراني في الأوسط روايته من عبد الله

ابن محمد بن عقيل (الثوري) .

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ « فحاشته بمسده » بدل « تبرجت » وكذا الطبراني

والحاكم ولفظ الحاكم « تبرجت » بدل « خانت » وعنده « وأمة أو أبق من سيده » (ترغيب) .

الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبيح لغير الله عز وجل

مثل من يقول : بسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله تعالى
(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ فِي سْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ) .

قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخفة إلى قوله : (وما ذبح على نصب)
وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى . وقال عطاء :
ينهي عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله : (انه لفسق)
يعني : وان كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحسق
والدين (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) أي يوسوس الشيطان
لولييه فيلقي في قلبه الجدل بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة
قال ابن عباس : أوحى الشيطان إلى أوليائه من الأنس كيف تعبدون شيئاً لا
تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية (وان اطعموهم)
يعني في استحلال الميتة (انكم لمشركون) ، قال الزجاج : وفي هذا دليل على أن
كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك .

فان قيل : كيف أجمت ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم؟
قلت : ان المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه في هذه الآية بالميتة ولم يحمله
أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفي الآية أشياء تدل أن الآية في تحريم
الميتة ومنها قوله (وانه لفسق) ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .
ومنها قوله (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) والمناظرة انما
كانت في الميتة باجماع من المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ، ومنها
قوله (وان اطعموهم انكم لمشركون) والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال
الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها .

وقد أخبرنا أبو منصور بأسناده عن أبي هريرة^(١) رضي الله عنه قال : سألت

(١) روى الطبراني في الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفاري وهو متروك (بجمع الزوائد) .

رجل رسول الله ﷺ فقال: «أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: «اسم الله على فم كل مسلم» .

وأخبرنا أبو منصور أيضاً بإسناده عن^(١) ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «يكفيه اسمه وإن نسي يسمي حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل» .

وأخبرنا عمرو بن أبي عمرو بإسناده عن عائشة^(٢) رضي الله عنها أن قوماً قالوا: يا رسول الله إن قوماً يأتونا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «سموا عليه وكلوا» ، هذا آخر كلام الواحدي رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» .

العكيرة التاسعة والخمسون فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر» رواه البخاري .

وقبه أيضاً: «من ادعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله» . وعن زيد بن شريك^(٣) قال: رأيت جلياً رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعتة يقول: والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة فذشرها ، فإذا فيها أسنان الأبل وشمي من الجراحات ، وفيها: قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرام

(١) رواه الدبرقطني وفيه راو سيء الحفظ وهو محمد بن ستان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح إلى بن عباس موقوفاً عليه من كلام (بلوغ المرام وشرحه سبل السلام).

(٢) رواه مالك والبخاري .

(٣) صوابه زيد وهو والد إبراهيم التيمي .

ما بين غير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفاً ولا عدلاً ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك ، وذمة المسلمين واحدة ، رواه البخاري . وعن أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ليس منا رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه الا كفر ، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوا مقمده من النار ، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك الا حار عليه ، أي رجع عليه ، ورواه مسلم . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة الستون : الجدل والمرء والندد

قال الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا قُوتِي سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ) .

ومما ينم من الألفاظ : المرء ، والجدال ، والخصومة .

قال الامام ' حجة الاسلام ' الغزالي رحمه الله : « المرء طعنك في كلام لاظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وأظهار مزيتك عليه . وقال : وأما الجدل فعبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها . قال : وأما الخصومة فلجاج في الكلام ليستوفي به مقصوداً من مال أو غيره ، وقارة يكون ابتداء وقارة يكون اعتراضاً والمرء لا يكون إلا اعتراضاً . هذا كلام الغزالي .

وقال النووي رحمه الله : اعلم ان الجدل قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) ، وقال تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) ، وقال الله تعالى (ما يجادل في آيات الله الا الذين

كفروا) ، قال : فان كان الجدل للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً ، وان كان في مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً ، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في اباحتها وذمها . والمجادلة والجدال بمعنى واحد . قال بعضهم : ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة .

(فان قلت) لا بد للانسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه ، (فالجواب) ما أجاب به الغزالي رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضي فانه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل في الذم أيضاً من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والايذاء والتسليط على خصمه ، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي وليس له اليها حاجة في تحصيل حقه ، كذلك من يحمه على الخصومة محض العناد لقمه الخصم وكسره فهذا هو المذموم .

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا ايذاء ، ففعل هذا ليس حراماً ولكن الأولى تركه ما وجد اليه سبيلاً ، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متمنر ، والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينها حتى يفرح كل واحد منها بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه في عرضه . فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى انه يكون في صلاته ، وخاطره متعلق بالمهاجبة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغي للانسان ألا يفتح عليه باب الخصومة الا لضرورة لا بد منها .

روينا في كتاب الترمذي ^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال

(١) وقال حديث غريب (ترغيب) .

رسول الله ﷺ : « كفى بك اثماً ان لا تزال خاصماً »

وجاء عن علي رضي الله عنه قال : ان الخصومة لها قحم . قلت القحم يضم القاف وفتح الحاء المهملة وهي : المهالك .

(فصل) عن أبي هريرة^(١) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع » .

وعن أبي أمامة^(٢) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا (ما ضربوه لك إلا جدلاً) الآية .

وقال ﷺ :^(٣) « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال مناقق في القرآن ودينياً تقطع أعناقكم » ، رواه ابن عمر .

وقال النبي ﷺ^(٤) : « المرء في القرآن كفر » .

(فصل) : يكره التغيير في الكلام بالتشديد ، وتكلف السجع الفصاحة بالمقدمات التي يعتادها المتفاسحون ، فكل ذلك من التكلف المذموم ، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظاً يفهمه جلياً ولا يتقله .

روينا في كتاب الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » . قال الترمذي : حديث حسن وروينا فيه أيضاً عن جابر رضي

(١) رواه ابن أبي الدنيا والاصمعي في (الترغيب) وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجهمسور (العراقي) .

(٢) رواه يزيد بن الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه (العراقي) وجمعه في الترغيب من سند أبي هريرة وعزاه الترمذي إلى ابن أبي الدنيا في الصمت .

(٣) رواه يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف في الصغرى معلقة بلفظ يروي ، وله شاهد من حديث مماذ عند الطبراني في «مناجاة الثلاثة» وفيه عبد الحكيم بن منصور متروك وله طريق أخرى في الاوسط فيها انقطاع (جمع الزوائد) .

(٤) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني وغيره من حديث زيد بن ثابت (ترغيب) .

الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « ان من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وان من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » قال الترمذي حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام ، والمتشدد من يتناول على الناس في الكلام ويبدو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين الفاظ الخطب والمواظف إذا لم يكن فيها افراط وأغراب ، الا ان المقصود منها تهيج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .

الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء
قال الله تعالى :

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ) .

قال النبي ﷺ : « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلاً » .
وقال عليه الصلاة والسلام (١) : (من منع فضل مائه وفضل كفته منعه الله فضله يوم القيامة) .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع اماماً لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وقى له وان لم يعطه منها لم يف له ، ورجل بايع رجلاً بسلمة بعد العصر فحلف له بالله لاخذتها بكذا وكذا

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة (متفق الاخبار) .
(٢) رواه أحمد من حديث عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده .

فصدقه وهو على غير ذلك « أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري : « ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » .

الكبيرة الثانية والستون نقص الكيل والزراع وما أشبه ذلك

قال الله تعالى : (ويل للمطففين) يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن . قوله : (الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون) يعني يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج « المعنى إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بها الثمراء والبيع فيما يکال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر . (وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون) أي ينقصون في الكيل والوزن . وقال السدي : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة له مكبالان يکیل بأحدهما ويکتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس^(١) رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « خمس بخس » ، قالوا يا رسول الله وما خمس بخس ؟ قال : ما نقض قوم العهد إلا سخط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون ، يعني كثرة الموت ، ولا طفقوا الكيل إلا منعوا النسب وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر ، (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما ما نقصوا في الكيل والوزن (ليوم عظيم) أي يوم القيامة . (يوم يقوم الناس من قبورهم) لرب العالمين (أي لأمره ولجزائه وحسابه) وهم يقومون بين يديه

(١) رواه الطبراني في الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد (الندوي) وشواهد من حديث ابن عمر عند البزار وبريدة عند الحاكم والنسائي والبيهقي الخ .

لفصل القضاء . وعن مالك بن دينار قال دخل علي جاري لي وقد نزل به الموت وهو يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار . قال قلت : ما تقول ؟ . قال يا أبا يحيى كان لي مكيبالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر وقال مالك بن دينار : ففجئت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظماً وشدة فمات في مرضه .

والمطفف : هو الذي ينقص الكيل والوزن مطففاً لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام . ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره . وقال بعض السلف : أشهد على كل كيبال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله ، وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ؟ فلما أفسق قلت له : يا أخي ما لي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال يا أخي لسان الميزان على لساني يمنني من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصاً ؟ قال : لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لاختبر صحة ميزاني . فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصاً ؟

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن ، فإن المطففين يوقفون حق ان العرق ليلجمهم إلى انصاف آذانهم ، وكذا التاجر إذا شد يده في الذراع وقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض ، وويل لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة ، فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والسمتون : الأمن من مكر الله

قال الله تعالى (حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة) أي أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن: من وُسع الله عليه فلم ير أنه يُمكر به فلا رأي له ، ومن قتر عليه فلم ير انه يُنظر اليه فلا رأي له ثم قرأ هذه الآية :

(حَتَّى إِذَا فَرُّحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) .

وقال : 'مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا .
وعن عقبة^(١) بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم قرأ :

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرُّحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ .)
الابلاس : اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، وقال ابن عباس : أيسو من كل خير . وقال الزجاج : الملبس الشديد الحسرة اليأس الحزين .

وفي الأثر : انه لما مكر بابليس - وكان من الملائكة - طفق جبريل وميكايل بينكيان ، فقال الله عز وجل لهما : مالكا تبكيان ؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى « هكذا كوننا لا نأمننا مكري » . وكان^(٢) النبي ﷺ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك « فقيل له يا رسول الله ألتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » .

(١) رواه الطبراني في الارسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف (مجمع الزوائد)
(٢) رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن النور بن حمان وأم سلمة رضي الله عنها وعائشة وأبي ذر رضي الله عنهم .

وفي الحديث الصحيح^(١) « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .
وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وانه من أهل النار ، وانما الأعمال بالخواتم » .

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام وانه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة ، وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر ، وروي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للآذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقي يوماً المنارة على عادته للآذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار - وكانت جميلة - فافتتن بها وترك الآذان ونزل إليها فقالت له : ما شأنك وما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لا اجيبك إلى ريبة . قال لها : أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأي لا يزوجني بك ، قال : أتتصر . قالت له : ان فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها واقام معهم في الدار ، فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات ، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها . نموذ بالله من مكروه وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان رسول الله ﷺ يحلف « لا ومقلب القلوب » رواه البخاري ، ومعناه يصرفها أسرع مسن ممر الريح على اختلاف في القبول والرد والارادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف . وفي التنزيل (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما تصنع بنانه (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أي عقل ، واختار الطبري أن يكون ذلك اخباراً من الله تعالى أنه أملاك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها ان شاء حتى لا يدرك الانسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثُر أن يقول : « يا مقلب القلوب

(١) يعني البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولعله في مسلم أيضاً .

ثبت قلبي على طاعتك . فقلت : يا رسول الله انك تكثر ان تدعو بهذا فهل تخشى ؟ قال : وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه ، فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والمعاقبة منيبة والارادة غير منالبة ، فلا تعجب بايمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك ان كان من كسبك ، فانه من خلق ربك وفضله الدار عليك ، فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرأ بمتاع غيرك ، ربما سلبه عنك فماد قلبك من الخير أخلى من جوف العير^(١) .

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمني وقلبه بطاعة الله مشرق سليم .
ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العظيم .

ابن آدم . الاقلام عليك تجري ، وأنت في غفلة لا تدري ، ابن آدم دع المغاني والأوتار ، والمنازل والديار ، والتناقس في هذه الدار ، حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار ، قال الربيع : سئل الامام الشافعي رحمه الله تعالى :

* * *

ينادي مناد من قبل العرش : أين فلان أين فلان فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه ، قال ، فيقول الله عز وجل لذلك الشخص : أنت المطلوب هلم إلى العرش على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فليقي الله عز وجل عليه من نوره يستره عن الخلقين ثم يقول له عبدي أما علمت اني كنت اشاهد عملك في دار الدنيا ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : عبدي أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : أما سمعت

(١) العير بفتح العين : الحمار . (٤) في الاصول المعروفة للكتاب نقص في آخر الكبيرة الثالثة والستين ، وفي أول الكبيرة الرابعة والستين ، وسيبقى هذا النقص حتى تظهر نسخة فيها هذا النقص فيكمل ، مع العلم باننا راجعنا هذا النقص على عدة نسخ خطية فلم نجده .

يجزائي وثوابي لمن أطاعني؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : يا عبدي عصيتني ؟ فيقول : يا رب قد كان ذلك ، فيقول الله تعالى : عبدي فما ظنك اليوم بي ؟ فيقول يا رب أن تغفو عني ، فيقول الله تعالى : عبدي تحققت أنني أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يا رب لأنك رأيتني على المعصية وسترتها علي . قال فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك ، خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها ، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم .

إلهنا لولا محبتك للغفران ما أهملت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان .

اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا .

اللهم انظر الينا نظر الرضى ، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا ، ونجنا من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا وخذ إلى الخيرات بتواصينا ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة : (لقد هممت أن أمر رجل يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم) رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ليقتهن أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » رواه مسلم^(١) .

(١) من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما ، وكذا رواه ابن ماجه من حديثها . (الترغيب) .

وقال **عليه السلام** : (من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه) أخرجه أبو داود والنسائي^(١) ، وقال : « من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقاً في ديوان لا يحيى ولا يبذل » .

وعن حفصة^(٢) رضي الله عنها قالت : قال رسول الله **ﷺ** : « رواح الجمعة واجب على كل محتلم ، أي على كل بالغ .
فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة السادسة والستون : الاصرار على
ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا
يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ) .

قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات.
وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله : كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء .

(١) والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة في صحيحه والحاكم . وقال على شرط مسلم كلهم من حديث أبي الجعد الضميري وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبي قتادة عند أحمد والحاكم ، ومن حديث أسامة عند ابن حبان ، ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضاً ، ومن حديث أبي هريرة عند ابن ماجه ، ومن حديث جابر عند أبي يعلى ، ومن كلام ابن عباس عنده أيضاً ، ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد أفاده (الترغيب) وقال المصنف في الصغرى استاده جيد قوي .

(٢) حديث حفصة رواه النسائي (الصغرى) .

وفي الصحيحين^(١) : أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب يحتطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » . وفي رواية لمسلم أيضاً من حديث أبي هريرة : « لقد هممت أن أمر فتيتي أن يجمعوا لي حزماً من حطب ثم آتى قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » . وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر فقد روى أبو داود في سننه ما سنده إلى ابن عباس رضي الله عنها قال ، قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر قيل وما العذر يا رسول الله قال خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التي صلى » يعني في بيته .

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنها أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع ، فقال : ان مات هذا فهو في النار .

وروى مسلم أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : « فأجب » . وفي رواية أبي داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال له النبي ﷺ : « تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح » ؟ قال : نعم . قال : « فأجب ، فحي هلا » . وفي رواية أنه قال : يا رسول الله اني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة : وقوله « فحي هلا » أي تعال وأقبل .

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ « ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

صلاة له . قالوا : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « خوف أو مرض » وجاء^(١) عن النبي ﷺ انه قال : « لعن الله ثلاثة - من تقدم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجلاً سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب » . قال ابو هريرة « لأن تمتليء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خيراً من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا يجيب » . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد ، قيل من جار المسجد؟ قال : من يسمع الا إذا . قال أيضاً : (من سمع النداء فلم يأتها لم تجاوز صلاته رأسه الا من عذر) .

وقال ابن مسعود^(٢) رضي الله عنه : من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وانها من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتهم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق أو مريض . ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف ، يعني يتكلم عليها من ضعفه حرصاً على فضلها وخوفاً من الاثم في تركها .

(فصل) : وفضل صلاة الجماعة عظيم كما في تفسير قوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) انهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات . وفي قوله تعالى : (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي خطاهم .

وفي الصحيح^(٣) ان رسول الله ﷺ قال : « من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدهم با تحط

(١) رواه الحاكم في مستدرکه عن ابن عباس كما تقدم في التهي عن ترك الصلاة .

(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما (ترغيب) .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بنحو ما

هنا (الترغيب) .

خطيئة والأخرى ترفع درجة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه .

وقال عليه السلام (١) : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اسبغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلك الرباط فذلك الرباط ، رواه مسلم .

الكبيرة السابعة والستون : الاضرار في الوصية .

قال الله تعالى : (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار)

أي غير مدخل الضرر على الورثة ، وهو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه . وقال الله تعالى :

(وصية من الله والله عليمٌ حلِيمٌ) .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث (ومن يطع الله ورسوله) في شأن الموارث (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله) قتال مجاهد فيما فرض الله من الموارث .

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله (يدخله ناراً) .

وقال الكلبي يعني يكفر بقسمة الله الموارث ويتعدى حدوده استعلالاً (يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

(١) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم من حديث ابي هريرة وشاهده من حديث ابي سعيد الخدري عند ابن ماجه وابن حبان في صحيحه « ترغيب » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجرب لهما النار) ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) رواه أبو داود^(١) .

وجاء عنه ﷺ انه قال : « من فر بمراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة »^(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصيه لو ارث » صححه الترمذي^(٣) .

الكبيرة الثامنة والمستون : المكر والخديعة

قال الله عز وجل : (وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) .

وقال النبي ﷺ : « المكر والخديعة في النار » .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال الله تعالى عن المنافقين : (يخادعون الله وهو خادعهم) . قال الواحدى يعاملون عمل الخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون ، فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم وبقوا في الظلمة .

(١) رواه الترمذي وقال حسن قريب ، ورواه ابن ماجه ولفظه « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى جاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيمدهل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » « ترغيب » .
(٢) رواه ابن ماجه من حديث أنس وأشار المنذري إلى ضعفه ، وقال المصنف في الصغرى في سنده مقال .

(٣) من حديث عمرو بن خارجه وفي سنده اسماعيل بن عياش في روايته عن غير الشاميين ضعف .

(٤) رواه البزار من حديث أبي هريرة وفيه عبد الله بن أبي حبيد اجتمعا على ضعفه (مجمع الزوائد) .

وقال ﷺ في حديث (١١) : « واهل النار خمسة ، وذكر منهم رجلا لا يصبح ولا يسي الا وهو يجادعك عن اهلك ومالك »

الكبيرة التاسعة والستون
من جس علي المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة وان عمر أراد قتله بما فعل ، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدرا ، إذا ترتب على جسسه وهن على الاسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك ، فهذا ممن سعى في الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب . فتسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدري كل ذي جس أن النسيمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنسيمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية ، انه لطيف خبير جواد كريم .

الكبيرة السبعون
سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت في الصحيحين (١٢) أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) ، وقال ﷺ : « لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج في الصحيحين .

(١) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار الجاشمي .

(٢) عزاء في الصغرى إلى البخاري فقط ، وقال في الميزان في ترجمة خالد بن خالد الطخوفني . ولا أخرجه من هذا البخاري ولا أظنه في المسند وأقره الحافظ العسقلاني في الفتح وعسد من أخرجه أو أخرجه شامداً له ، وليس فيهم مسلم لما هنا سبق قلم أو من تحريف النسخ والحديث من مسند أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال ﷺ : « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى . فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه » أخرجه الترمذي (١) .

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم واقترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وقوله ﷺ : (الله الله) كلمة تحذير وإنذار كما يقول المذنب : النار النار أي احذروا النار ، وقوله : (لا تتخذوهم غرضاً بعدى) أي لا تتخذوهم غرضاً للسب والظلم ، كما يقال : اتخذه فلان غرضاً لسبه أي هدفاً للسب) وقوله : (فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ، فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال ، فمن أحبهم فأنما أحب النبي ﷺ . فحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عنوات محبته وبغضهم عنوات بغضه كما جاء في الحديث الصحيح : « حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق » ، وما ذلك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ وكذلك حب علي رضي الله عنه من الايمان وبغضه من النفاق ، وإنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الايمان والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين ، وإظهار شعائر الاسلام ، وإعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم قرائضه وسننه ، ولولاهم ما وصل الينا من الدين أصل ولا فرع ، ولا علنا من القرائض والسنن سنة ولا فرضاً ولا علنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن ظعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الظمن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضرار الحق فيهم وإنكار ما ذكره

(١) من حديث عبدالله بن مقل وقال غريب (مشكاة) .

الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضى الوسائل من المآثور والوسائط من المنقول ، والطعن في الوسائط طعن في الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، هذا ظاهر لمن تدبره ، وسلم من النفاق ومن الزندقة والالحاد في عقيدته ، وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك كقول النبي ﷺ (١) : « ان الله اختارني واختار لي أصحاباً ، فجعل لي منهم وزراء وأنصار وأصحاباً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً »

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : « إنا نُسب ، فقال رسول الله ﷺ : « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وعنه (٢) قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي أصحاباً وأخواناً وأصحاباً ، وسيجيء قوم بعمد يميئوتهم وينقصونهم فلا توكلموهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم » .

وعن (٣) ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا ، قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر في الخلق ، وهو : أي الامساك علامة الايمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك ، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني من حديث عويم بن ساعدة وفيه من لم أعرفه ، وزاد في منتخب كنز العمال : عزوه إلى الحاكم في مستدركه .

(٢) رواه العميلي في الضمراء عن أنس في منتخب كنز العمال .

(٣) رواه الطبراني وفيه مسور بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية جاله رجال الصحيح ، وله شاهد ضعيف من حديث لويف عند الطبراني أيضاً (مجمع الزوائد) نال العراقي : رواه الطبراني بإسناد حسن .

بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيباً وأضافه اليهم كان منافقاً . بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ، وحب ما جاء به ، وحب من يقوم بأمره ، وحب من يأخذ بيديه ويعمل بسنته ، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلماؤه وخدامه ، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم ، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

قال أبو بصير السخيتاني رضي الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعرزة الوثقى ، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

(فصل) : وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر ، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم ، وأفضل العشرة : أبو بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبي ﷺ في حديث^(١) المرابض بن سارية حيث قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، الحديث .

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين . وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن ، قال الله تعالى :

(وَلَا يَأْتِلُ أَلْوَا الْقَضَلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ) .

(١) رواه الترمذي وصححه .

الآية . لا خلاف ان ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى :
(ثاني اثنين إذ هما في الغار) الآية ، لا خلاف أيضاً ان ذلك في أبي بكر رضي
الله عنه شهدت له الرواية بالصحة ، وبشره بالسكينة ، وحلاه بثاني اثنين كما
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثها ؟
وقال الله تعالى :

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَقَ بِهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) .

قال جعفر الصادق : لا خلاف ان الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي
صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم ؟ رضي الله عنهم
أجمعين .